دراسة

جيش التحرير الفلسطينيّ في الحرب السوريّة



يوسف فخر الدين – همام الخطيب

مراجعة قانونية

أنور البني

المركز السوري للأبحاث والدراسات القانونية www.sl-center.org

مركز دراسات الجمهوريّة الديمقراطيّة www.drsc-sy.org

02-11-2018

المحتويات

أوّلًا: مدخل

خلال الحرب في سورية لحق ضررٌ كبيرٌ باللاجئين الفلسطينيّين فيها، فدمّر التحالفُ السوريّ الإيرانيّ الروسيّ معظم مخيّم اليرموك [1]، ومخيّم الحسينيّة، ومخيّم حندرات، ومخيم درعا، وألحق أذى متفاوتًا بالمخيّمات الأخرى. واعتقلت السلطات السوريّة، وغالبًا من دون سببٍ إلا الانتقام، 1693 فلسطينيًّا/ يّة، لا يزال مصيرهم مجهولًا، قتلت منهم تحت التعذيب 556 فلسطينيًّا/ يّة. فيما بلغ عدد الفلسطينيّين السوريّين الذين قضوا جرّاء الحرب في سورية 3871 ضحيّةً. وقدَّرت وكالة الأمم المتّحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيّين (الأونروا) عدد اللاجئين من الفلسطينيّين السوريّين إلى دول العالم جرّاء الحرب في سورية بـ 120 ألف لاجئٍ، بينما نميل إلى تقديرات ناشطين حقوقيّين فلسطينيّين تواصلنا معهم تفيد بأنّ عددهم أكثر من 146 ألف لاجئٍ.

نتج أغلب الضرر سابق الذكر من الصراع الدائر بين الأطراف المتحاربة في سورية، وظهر جليًّا انتقام الحكم الاستبداديّ من اللاجئين الفلسطينيّين في سورية الذين عاكسوا قناعته الراسخة بأنّهم سيكونون في عونه إن أراد قمع الشعب السوريّ[2] حينما عبّر أغلبيّتهم عن قناعته بأنّ الثورة السوريّة محقّةٌ، ورفضوا مساعدة النظام في إخمادها. وهو ما قالوه أوّل مرّةٍ بشكلٍ جماعيٍّ في ما أُطلق عليه اسم "انتفاضة اليرموك" في 6 حزيران/ يونيو 2011، أثناء تشييع شهداء مسيرة العودة إلى الجولان، حينما هتف المتظاهرون مطالبين سلطة الأسد بعدم العبث بالدم الفلسطينيّ للتغطية على الدم السوريّ. وحينها هتفت جموعٌ فلسطينيّة سوريّة، للمرّة الأولى، بأنّ "الفلسطينيّ والسوريّ واحدٌ" في تحدٍّ للنظام السوريّ المثار عليه الذي أراد استخدامهم.

كلّ ذلك لم يمنع القوى الفلسطينيّة التابعة للنظام في سورية من الدفاع عنه؛ ومن القوى الفلسطينيّة التي شاركت في الحرب السوريّة جيش التحرير الفلسطينيّ. وتقدّم الدراسة التي بين أيديكم قراءةً عامّةً لنشأة هذا الجيش، لتبيّن مخالفة مشاركته هذه لشرعيّة وجوده، ولتوضّح كيف احتاج توريطه لإستراتيجيّةٍ حتى يستطيع النظام السوريّ التغلّب على المقاومة التقليديّة الموجودة فيه لتأدية دورٍ خارج أسباب وجوده.

وترصد الدراسة التورّط المتدرّج لجيش التحرير الفلسطينيّ في الحرب الدائرة في سورية؛ حيث تتبّعت خريطة مشاركة جيش التحرير الفلسطينيّ في الحرب السوريّة في معظم المحافظات السوريّة، وانتهاكاته المتعدّدة. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ، وتقنيّة التوثيق [3] عن

1- يمكن العودة إلى تقرير "اليرموك تحت النار" (آخر زيارة في تاريخ 2018/9/21).
drsc-sy.org/ مخيّم-اليرموك-تحت-النار/

2- يمكن العودة إلى مقالة "مخيم اليرموك: صراع الأجيال وتدمير مجتمع العصاة"، يوسف فخر الدين، ملف "اليرموك: كارثة أكبر من مخيم"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 103، (آخر زيارة في تاريخ 2018/9/21).
http://www.palestine-studies.org/ar/mdf/issue/103

3- وهو بحث "يتبع خطوات أساسية، تبدأ بوضع الأدلة المأخوذة من الوثائق والمسجلات، مع بعضها بطريقة منطقية... ومن ثم الاعتماد عليها في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة، أو تقدم تعميمات سليمة عن الأحداث الماضية أو الحاضرة، أو عن الدوافع

طريق دراسة الوثائق والسجلّات (كتب، دراسات، مقالات، خطابات مكتوبة، مقابلات تلفزيونيّة، مذكّرات، أخبار...)، وعن طريق تسجيل وجمع وتنظيم المعطيات الناتجة من رصدنا للوقائع. ثم قمنا بتحليل البيانات والمعلومات في جلسات تفكيرٍ جماعيّة لفريق العمل، للخلوص إلى النتائج.

وتنبع أهميّة هذه الدراسة من كونها أثبتت التناقض بين مصادر شرعيّة جيش التحرير الفلسطينيّ وواقعه الراهن، عبر دراسة الوثائق ومقارنتها بمعطيات رصد مشاركة جيش التحرير وانتهاكاته في الحرب السوريّة الراهنة والوثائق الراهنة ذات الصلة. وهو ما يساعد على: تحديد عناصر "القضايا القانونيّة المتعلّقة بملاحقة مجرمي الحرب"، واستشراف المستقبل، ورفد الدراسات اللاحقة بأساسٍ معرفيّ، وتوثيقيّ، وتشكيل بنية قاعدة معطياتٍ قابلةٍ للتطوير والاتّساع، تقدّم تحليلاتٍ واستنتاجاتٍ قابلةً للتوسّع والتفسير في تقارير بعناوينَ تخصّصيّةٍ لتكون بين أيدي القانونيّين، والحقوقيّين، وعموم المهتمّين.

وقد انتهت هذه الدراسة في 25 تموز/ يوليو 2018، ولم نُضِف إليها مشاركة جيش التحرير الفلسطينيّ في الحرب السوريّة بعد هذا التاريخ؛ حيث شرعنا في عمليّة التحرير، ومن ثمّ ترجمة الدراسة.

والصفات والأفكار الإنسانية"، محمد العريس، مذكرات في منهج البحث التربوي وأسس التوثيق، دار النهضة العربية، (بيروت، ط1، 2012)، ص120.

ثانيًا: بطاقة تعريف بجيش التحرير الفلسطينيّ

"اللوغو":

التعريف:

تشكيلٌ عسكريٌّ فلسطينيٌّ نظاميٌّ أنشأته منظّمة التحرير الفلسطينيّة بنيّة أن يكون تحت إشراف لجنتها التنفيذيّة، وينفّذ تعليماتها وقراراتها، وليكون الطليعة في خوض معركة تحرير فلسطين. وهو ما نصّت عليه المادة 22 (المعدّلة) من النظام الأساسيّ لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة: "تنشئ منظّمة التحرير الفلسطينيّة جيشًا من أبناء فلسطين، يعرف بجيش التحرير الفلسطينيّ، تكون له قيادةٌ مستقلّةٌ، تعمل تحت إشراف اللجنة التنفيذيّة، وتنفّذ تعليماتها، وقراراتها الخاصّة والعامّة، وواجبه القوميّ أن يكون الطليعة في خوض معركة تحرير فلسطين".

أُسّس جيش التحرير الفلسطينيّ ليكون تحت قيادة الإدارة العسكريّة لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة، ولكن في الممارسة العمليّة لم تتنازل أيٌّ من الحكومات المعنيّة عن السيطرة على ما يقع ضمن نطاق سيطرتها.

الوضع الحاليّ:

بعد اتفاقيّة "أوسلو" عام 1993، أصبح العديد ممّن كانوا يومًا جنود جيش التحرير الفلسطينيّ في مصر والأردن من الحرس الوطنيّ للسلطة الوطنيّة الفلسطينيّة، عندما سُمح لهم بدخول الأراضي الفلسطينيّة لشغل مواقع في الأجهزة الأمنيّة في السلطة الوطنيّة الفلسطينيّة. بينما استمرّت سيطرة النظام السوريّ على جيش التحرير الفلسطينيّ في سورية، الذي كان قد استخدمه خلال الحرب الأهليّة اللبنانيّة، بما في ذلك ضدّ منظّمة التحرير الفلسطينيّة، كما زجّ به في الحرب السوريّة بعد احتجاجات عام 2011.

الهيكليّة الحاليّة لجيش التحرير الفلسطينيّ:

يتكوّن "الجيش" من ثلاثة ألوية مشاة وصاعقة، وهي قوّات "حطّين" ومقرّها في قطنا قرب دمشق، وقوّات "أجنادين" ومقرّها في جبل الشيخ على الحدود مع فلسطين المحتلّة، وقوّات "القادسيّة" وتتمركز قرب محافظة السويداء جنوبيّ سورية، إضافة إلى بعض الكتائب المستقلّة المساندة.

قادة:

- قائد جيش التحرير الفلسطينيّ، ورئيس هيئة الأركان: اللواء محمد طارق الخضراء.
- رئيس شعبة الاستطلاع والأمن العسكريّ: العميد فايز باشا.
- رئيس إدارة التوجيه المعنويّ والسياسيّ: العميد الركن نبيل يعقوب.
- قائد قوّات "أجنادين": العميد الركن محمد طارق أبو سرور.
- قائد قوّات "القادسيّة": العميد الركن سليمان أحمد إبراهيم.
- قائد قوّات "حطّين": أحمد حسن.
- قائد الكتيبة ٤١٢ (كتيبة العقاب): العميد الركن وليد أحمد الكردي.
- قائد كتيبة ٤١٣ صاعقة: العميد أحمد عكاوي.
- النقيب محمد جودت إدريس، قائد مجموعةٍ في ريف حماة الشماليّ تابعةٍ لفرع الاستطلاع والمهامّ الخاصّة في جيش التحرير الفلسطينيّ. وقد مُنح، في أيلول/ سبتمبر 2017، وسام الشجاعة الروسيّ لدوره الكبير في تحرير ناحية "عقيربات" في ريف حماة.

المقرّ:

– يتمركز جيش التحرير في أربعة مواقعَ عسكريّةٍ رئيسةٍ في سورية بقوام ثلاثة ألوية مشاة وهي (قوّات حطّين، قوّات القادسية، قوّات أجنادين)، إضافة إلى معسكر التدريب الرئيس في منطقة مصياف التابعة لمحافظة حماة، ورئاسة الأركان الواقعة في منطقة معضميّة الشام،

وهناك أيضًا بعض المواقع الصغيرة الأخرى التي تتبع رئاسة الأركان، كرحبة السيّارات في مخيّم جرمانا، وموقع الاستطلاع في المزّة، إضافة إلى بعض المراكز الخدميّة والطبيّة والمؤسّسات الثقافيّة كمركز حلوة زيدان ومشفى فايز حلاوة والإدارة الماليّة في مخيّم اليرموك.

التسليح:

- أسلحة خفيفة، ومدافع هاون، وقاذفات صواريخ، وحاملات جنود مدرّعة من طراز BTR-152، ودبّابات من طراز T-34/85.

حلفاء:

- الميليشيا الشيعيّة بتنوّعاتها.
- الجيش السوريّ.
- الفصائل الفلسطينيّة الموالية للنظام السوريّ (فصائل دمشق).

التمويل:

- الصندوق القوميّ التابع لمنظّمة التحرير.
- النظام السوريّ.

العدد: 6000 عنصر، منهم نحو 3000 مقاتلٍ انخرطوا في الأعمال العسكريّة في سورية، بحسب تصريحات قيادة جيش التحرير.

المشاركة في الحرب السوريّة:

- كُلّف بداية بمهمّاتٍ غير قتاليّةٍ، كحماية محطّة تشرين الحراريّة.
- معارك تل كردي وتل صوان ومدينة عدرا أواخر عام 2015.
- معارك محيط مطار "الثعلة" العسكريّ جنوب غرب محافظة السويداء.
- معارك مدينة الشيخ مسكين في ريف محافظة درعا.

- معارك مدينة الزبداني في القلمون الغربيّ.
- معارك ضدّ تنظيم الدولة الإسلاميّة (داعش)، شرقيّ محافظة السويداء.
- معارك الغوطة الشرقيّة بداية عام 2018.
- معارك جنوبيّ دمشق في نيسان/ أبريل 2018.

انتهاكات:

- قصف مناطق مدنيّة.
- ترويع السكّان.
- حصار المدنيّين.
- مشاركة بالتهجير القسريّ.

عدد القتلى في الحرب السوريّة:

- 213 قتيلًا حتى تموز/ يوليو 2017، ونحو 420 جريحًا، بحسب تصريحات رئيس هيئة أركان جيش التحرير الفلسطينيّ، اللواء محمد طارق الخضراء. بينما وثّقت "مجموعة العمل من أجل فلسطينيّي سوريا" قضاء 258عسكريًّا من منتسبي جيش التحرير الفلسطينيّ حتى تموز/ يوليو 2018.

ثالثًا: ظروف النشأة والصراع على المرجعيّة

نشأ جيش التحرير الفلسطينيّ بناءً على قرار المؤتمر الفلسطينيّ الأوّل (1964) الذي ينصّ على إنشاء كتائبَ عسكريّةٍ نظاميّة، وتسليحها، والسعي لإلحاق الشباب الفلسطينيّ في الكليّات العسكريّة العربيّة[4]، بتأثير تطوّر النضال الوطنيّ الفلسطينيّ وتنامي المطالب الشعبيّة بتأسيس كيانٍ وطنيٍّ فلسطينيٍّ[5]، ومساعي مندوب فلسطين في الجامعة العربيّة أحمد الشقيري[6] لإنشاء أداةٍ عسكريّةٍ نظاميّةٍ لهذا الكيان الوليد.

وكان قبلها بأشهر قد ورد في البند الثاني من قرارات القمّة العربيّة الأولى، المنعقدة في العاصمة المصريّة "القاهرة" بين 13 و1964/1/16، "إنشاء كيانٍ فلسطينيٍّ يجمع إرادة شعب فلسطين ويقيم هيئة تطالب بحقوقه"[7]. وكلّفت القمّة، أحمد الشقيري بأن يستمرّ "في اتصالاته بالدول الأعضاء والشعب الفلسطينيّ بنيّة الوصول إلى إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطينيّ، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره"[8]، على أن يبلّغ القمّة العربيّة الثانية بنتائج مشاوراته[9]. إلّا أنّ "الشقيري" تجاوز التكليف المحدود[10]، واندفع لتشكيل منظّمة التحرير

4- البند الثاني من "القرارات العسكرية" التي اتّخذها المؤتمر الوطنيّ الأوّل في القدس، 28 أيار/ مايو - 2 حزيران/ يونيو 1964م ، ورد فيه: "تشكيل كتائب فلسطينية عسكرية نظامية وكتائب فدائية قادرة وفعالة"، (آخر زيارة في تاريخ 2018/9/21).
http://www.plo.ps/article/43718/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84%D9%89

5- انتشرت الدعوات لإنشاء كيان فلسطيني مستقل في هذه الفترة، ومنها طرح حزب البعث في بيان له عام 1959 موضوع الكيان الفلسطيني والجيش الفلسطيني الشعبي، وقراره في مؤتمره المنعقد في العاصمة اللبنانية بيروت في آب/ أغسطس 1960 تأليف جبهة شعبية تضم كل التنظيمات الفلسطينية القائمة في البلدان العربية "على أن تكون مستقلة عن الحكومات". وهو ما يمكن عده عاملًا أساسيًّا ضغط على هذه الحكومات، ما دعاها إلى تقبل فكرة نشوء الكيان الوطني الفلسطيني بإرادتها وفي وسطها لتستطيع التأثير عليه؛ فاختار لها الرئيس جمال عبد الناصر الشخص الذي اعتقد بأنه يمتلك خبرة التعامل معها. للمزيد عن حزب البعث وموضوع الكيان الفلسطيني في تلك الفترة يمكن العودة إلى كتاب "الفكر السياسي الفلسطيني 1963-1966" لغازي حسين، دمشق 1993، لا دار نشر، ص46-47-48. متوفر على الشبكة العنكبوتية "الإنترنت".

6- عمل الشقيري أمينًا مساعدًا في جامعة الدول العربية، ثم رئيسًا للوفد السوري في الأمم المتحدة، ثم وزيرًا في المملكة السعودية لشؤون الأمم المتحدة. يمكن العودة إلى كتاب أحمد الشقيري، "من القمة العربية إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء"، دار العودة بيروت، ط1، 1971، ص19. متوفر على الشبكة العنكبوتية "الإنترنت".

7- يمكن العودة إلى الموسوعة الفلسطينية، (آخر زيارة في تاريخ 2018/9/21).
https://www.palestinapedia.net/%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%AA/

8- الشقيري، أحمد، من القمة العربية إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء، دار العودة بيروت، ط1، 1971، ص68.

9- كان أول قرار من مجلس الجامعة بهذا الخصوص اتخذه في اجتماع عقده في مدينة شتورا اللبنانية، في آب/ أغسطس 1960، ومفاده: أولًا: إعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وإبراز كيانه شعبًا موحدًا. ثانيًا: إنشاء جيش فلسطيني في الدول العربية المضيفة... إلا أن المجلس تراجع عنه نتيجة الرفض الأردني وطرح دعم حكومة عموم فلسطين، وفي الحالتين قوبل برفض أردني عرقل مساعيه. يمكن العودة إلى كتاب أحمد الشقيري، "من القمة العربية إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء"، دار العودة بيروت، ط1، 1971، ص79.

10- وهو ما سجله الأمير فيصل آل سعود، ولي عهد المملكة السعودية، مستنكرًا حينما عرض رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، أحمد الشقيري، على الملوك والرؤساء العرب في اجتماع قمة الدول العربية الثاني في الإسكندرية عام 1965 تقريرًا عن المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول وتأسيسه منظمة التحرير، بقوله: "...فإن الأخ أحمد قد تجاوز الصلاحيات التي فوضها به مؤتمر القمة في

بين القمّتين العربيّتين، مستغلًّا الاندفاع الشعبيّ الفلسطينيّ الذي يطالب منذ سنواتٍ قبلها بإنشاء "كيانٍ وطنيٍّ فلسطينيٍّ"، ومستفيدًا من دعم الرئيس المصريّ جمال عبد الناصر لهذه الخطوات، ورغبةً منه (الشقيري) بوضع الدول العربيّة التي تعترض على هذا العمل أمام الأمر الواقع[11]، والاستفادة من تجاذبات الدول العربيّة على إقامة كيانٍ وطنيٍّ فلسطينيٍّ لمصلحة مشروعه[12].

وكون مؤسّسو منظّمة التحرير الفلسطينيّة جعلوا مهمّتها الأساسيّة تحرير فلسطين، فهم اعتقدوا بحاجتهم إلى القوّة العسكريّة لفعل ذلك، فحازت القرارات بشأنها موقعًا مركزيًّا في المؤتمر الوطنيّ الأوّل؛ وأقرّوا هذا الهدف في الباب الرابع من المادّة 22[13] من النظام الأساسيّ لمنظّمة التحرير الذي صاغه "الشقيري"، ومفادها "تشكّل وحدات فلسطينيّة خاصّة، وفق الحاجات العسكريّة، والخطّة التي تقرّرها القيادة العربيّة الموحّدة، بالاتّفاق وبالتعاون مع الدول العربيّة المعنيّة".

ولاحقًا، في القمّة العربيّة الثانية، أعلن "الشقيري، بعد موافقة القادة العرب على صيغة "جيش التحرير"، مرتجلًا، أنّ "اللجنة التنفيذيّة لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة قرّرت، قيامًا بواجبها الوطنيّ المقدّس في تحرير فلسطين، إنشاء جيش التحرير الفلسطينيّ ليؤدّي دوره الطليعيّ إلى جانب الجيوش العربيّة في تحرير فلسطين واسترداد الوطن السليب"[14]. وهو ما وافق عليه الملوكُ والرؤساء بشرط "أن يخضع في العمليّات الحربيّة للقيادة العربيّة الموحّدة، أو القيادة المحليّة حسبما ترى القيادة العامّة ذلك"، وجليّ أنّ "العمليّات الحربيّة" التي يجري الحديث عنها، كانت موجّهةً ضدّ إسرائيل حصريًّا.

القاهرة... فإنكم يا أصحاب الجلالة والفخامة والسمو قد عهدتم إلى السيد أحمد الشقيري بدرس الوسائل لإنشاء الكيان الفلسطيني ولم تعهدوا إليه أن ينشيء الكيان الفلسطيني". يمكن العودة لكتاب أحمد الشقيري سابق الذكر ص164.

11- المصدر السابق، ص82

12- يورد يزيد صايغ في دراسة بعنوان "جيش التحرير الفلسطيني تحديات مرحلة التكوين 1954-1966"، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد9، العدد35، (صيف 1999، ص23 ص24)، أنّ العراق قام بإنشاء "فوج التحرير الفلسطيني" عام 1960، وأنه عاد لفتح الموضوع في عام 1963عبر مطالبته الجامعة العربية بتشكيل مجلس وطني فلسطيني منتخب، وإقامة حكومة فلسطينية تتمتع بعلاقات رسمية بالدول العربية، وتشكيل جيشٍ لتحرير فلسطين. وفي الدراسة عينها (ص20-ص21) يفسر يزيد صايغ تشجيع القيادة المصرية على إنشاء منظمة التحرير وجيش التحرير الفلسطيني، ورفضها في الوقت نفسه سيطرة الأولى على الثاني في منطقة سيطرتها، المثبت في المراسلات، ومحاضر الاجتماعات، بين قيادة جيش التحرير الفلسطيني وقيادة الجيش المصري التي اطلع عليها بقوله: "ربما كان عبد الناصر يأمل بتعزيز موقعه الإقليمي من خلال دعم م.ت.ف لكن التحدي الدائم الذي واجهه حتى سنة 1967، هو كيف يسير بمظاهر التحضيرات ضد إسرائيل لمنع الفلسطينيين من أخذ المبادرة بأيديهم أو التصرف كمخلب القط لمصلحة منافسيه العرب، من دون أن يؤدي ذلك إلى توتر مع إسرائيل يخرج عن سيطرته".

13- موقع "رحلات فلسطينية"، (آخر زيارة في تاريخ 2018/9/21). https://www.paljourneys.org/ar/timeline/historictext/9705/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3%D9%8A-%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9

14- الشقيري، أحمد، مصدر سبق ذكره، ص171.

ولكن "الشقيري" انتزع في هذه القمّة بعض المكاسب السياديّة لمنظّمة التحرير، ومنها: أنّها هي من تختار الأفراد والضباط، وأنّها تشارك القيادة العربيّة الموحّدة التابعة للجامعة العربيّة في وضع خطّة تشكيل الجيش وتسليحه وتدريبه، وتختار بنفسها مقرّات الجيش بموافقة الدول المعنيّة[15]. وبذلك أُقِرَّ شكلٌ من الشراكة في مرجعيّة الجيش بين هيئةٍ تابعةٍ للجامعة العربيّة ومنظّمة التحرير، وهو ما عملت عليه منظّمة التحرير لاحقًا، في يوميّاتها، وعبر قرارات مجالسها الوطنيّة المتعاقبة، في محاولتها انتزاع استقلالٍ أكثر للجيش عن الجميع لتزيد من استتباعه لها.

وهكذا شرعت قيادة منظّمة التحرير المؤسِّسة في تطبيق مشروع جيش التحرير الفلسطينيّ ضمن ظروفٍ في غاية الصعوبة بعد سنواتٍ من تشظّي المجتمع الفلسطينيّ نتيجة الاحتلال الإسرائيليّ عام 1948، وانقسام ما تبقّى من أرضٍ فلسطينيّة (الضفة الغربيّة، وقطاع غزة) تحت سلطتي الجمهوريّة المصريّة والمملكة الأردنيّة، وانتشار اللاجئين الفلسطينيّين في دول المنطقة وأرجاء الأرض. بينما كان مؤسّسها، ورئيس لجنتها التنفيذيّة الأوّل، يردّد لمن يسأله بصياغاتٍ مختلفةٍ: "أنا لا أزعم أنّه ستكون لنا السلطة الكاملة على جيشنا، فإنّ جيشنا ليس على أرضنا، وماله وسلاحه من أموالنا وسلاحنا... أنا لا أخدعكم، إنّني أحاول أن أصنع أحسن شيءٍ من أسوأ شيء... وهذه هي ظروفي مع الملوك والرؤساء"[16].

وسريعًا ما ظهر عيب إنشاء جيشٍ نظاميٍّ يتبع قانونيًّا وماليًّا لـ"كيانٍ سياسيٍّ" يطمح للسيطرة عليه بينما هو موجودٌ ضمن نطاق سلطة "كيانات سياسيّة"/ دول أخرى، على الرغم من توقيع منظّمة التحرير "بروتوكولات" معها؛ حيث نشأ الخلاف بين المنظّمة والدول المضيفة، حول استقلاليّة جيش التحرير عنها وتبعيّته للمنظّمة، منذ الخطوات الأولى من العمل على إنشائه[17]. وهو ما بقي الشاغل الرئيس لقيادة المنظّمة المؤسِّسة حتى تنحّيها عام 1967 وحلول قيادةٍ انتقاليّةٍ محلّها أعدّت لاستلام حركة "فتح" (التي كانت لها قوّاتها المسلّحة الخاصّة) قيادة منظّمة التحرير منذ عام 1969[18].

15- مصدر سبق ذكره، ص171.
16- الشقيري، أحمد، مصدر سابق الذكر.
17- يتحدث أحمد الشقيري في كتابه سابق الذكرعن الرفض المبكر لملك الأردن الحسين بن طلال لمشروع جيش التحرير، وكيف أضاف بخصوصه، في اجتماع مع الملك ورجال دولته، جملة: "وذلك في أراضي الدولة التي توافق على ذلك"، في محاولة يائسة لنيل رضى الملك، ص85.
18- استقال أحمد الشقيري، واللجنة التنفيذية التي يترأسها، عام 1967 فتسلم يحيى حمودة رئاسة المنظمة فترة انتقالية إلى حين تسلم ياسر عرفات لرئاسة اللجنة التنفيذية عام 1969 فدشن سيطرة الفصائل الفلسطينية على منظمة التحرير بقيادة حركة التحرر الوطني الفلسطيني (فتح).

ولقد بقيت قيادة منظّمة التحرير بعد "الشقيري" تنازع الدول المضيفة على تبعيّة جيش التحرير الفلسطينيّ للمنظّمة، وظهر ذلك جليًا في تعديل المجلس الوطنيّ المادّة (22) في النظام الأساسيّ للمنظّمة في الدورة الرابعة لمنظّمة التحرير عام 1968 (وهو المؤتمر الأوّل بعد استقالة "الشقيري")؛ حيث شدّد على استقلال جيش التحرير عن الدول العربيّة وأكّد على تبعيّته للمنظّمة لتصبح على الشكل التالي: "تنشئ منظّمة التحرير الفلسطينيّة جيشًا من أبناء فلسطين، يعرف بجيش التحرير الفلسطينيّ، تكون له قيادةٌ مستقلّةٌ تعمل تحت إشراف اللجنة التنفيذيّة وتنفّذ تعليماتها وقراراتها الخاصّة والعامّة، وواجبه القوميّ أن يكون الطليعة في خوض معركة تحرير فلسطين"[19]. وترجمةً لهذا التوجّه قرّرت القيادة الجديدة في يوليو/ تموز 1968، تعيين اللواء وجيه المدنيّ رئيسًا للدائرة العسكريّة في منظّمة التحرير، وإلغاء منصب القائد العامّ لجيش التحرير وإسناد مهامّه إلى رئيس الأركان، وأُعفي العميد صبحي الجابي من منصب رئيس أركان جيش التحرير، وعيّن العميد عبد الرزاق اليحيى خلفًا له. إلّا أنّ هذه القرارات لم ترق لحكم حزب البعث فحرّض على التمرّد في قوّات "حطّين"، فعيّن العميد مصباح البديري رئيسًا لأركان جيش التحرير. وفي حزيران/ يونيو 1969 أُعيد منصب القائد العامّ لجيش التحرير وأُسند إلى العميد اليحيى، وعيّن قائد قوّات حطّين العقيد عثمان حداد رئيسًا للأركان لاسترضاء الحكم في سورية[20].

وضمن مساعي منظّمة التحرير في هذا الخصوص قرّر المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ[21] في دورته الثامنة (القاهرة، 1971/2/28م – 1971/3/5م) استحداث القيادة العامّة لقوّات الثورة الفلسطينيّة، وسجّل أنّ هذه القوّات الثلاث، هي: القوّات النظاميّة، والقوّات الفدائيّة، وقوّات الميليشيا الشعبيّة[22]؛ وهو ما عاد وأكّده في الدورة التاسعة، وفصّل في هيكليّة هذه القيادة، وتشكيلها، ومهامّها، وثمّ أكّد في بندٍ مخصّص لجيش التحرير على "تمكين القيادة السياسيّة

19- للاطلاع على كامل النظام الأساسي بعد التعديل على موقع المجلس الوطني الفلسطيني على الرابط، (آخر زيارة في تاريخ 2018/9/22). http://info.wafa.ps/atemplate.aspx?id=4923

20- جيش التحرير الفلسطيني البندقية العليلة منذ الميلاد – أحمد محرم 2017/7/24 على الشبكة العنكبوتية، (آخر زيارة في تاريخ 2018/9/21). https://www.ida2at.com/liberation-army-the-palestinian-poor-rifle-since-the-birth /
انظر أيضًا في عبد الرزاق اليحيى، بين العسكرية والسياسة: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، 2007.

21- تُعرف المادة السابعة من النظام الداخلي لمنظمة التحرير المجلس الوطني بأنه "السلطة العليا لمنظمة التحرير، وهو الذي يضع سياسة المنظمة ومخططاتها وبرامجها".

22- يمكن العودة إلى بند "القيادة العامة لقوات الثورة" في الدورة الثامنة للمجلس الوطني الفلسطيني، في القاهرة 1971، (آخر زيارة في تاريخ 2018/9/23). http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3245

لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة من ممارسة حقوقها المشروعة على جيش التحرير الفلسطينيّ ممارسة تمكّنها من تحريك قطاعات هذا الجيش، واستخدامها في ما يخدم متطلّبات المعركة"[23].

وبالتشابك مع عوامل نزاعٍ أخرى، عرف التنازع بين المنظّمة والدول المضيفة لجيش التحرير صراعًا عسكريًّا. كان منه قتال جيش التحرير تحت لواء منظّمة التحرير في معاركها مع الحكم الملكيّ في الأردن عام 1970؛ ومنه أيضًا، زجّ جيش التحرير من قبل الرئيس حافظ الأسد (الذي حكم سورية بين 1971–2000 بعد انقلابٍ عسكريٍّ) في معركتين ضدّ منظّمة التحرير، الأمر الذي لم يمرّ من دون مقاومة يائسة من ضبّاطه الوطنيّين؛ فقد حصل انشقاقٌ في بيروت عام 1976 (وكان حينها جيش التحرير تحت قيادة اللواء مصباح البديري) رفضًا لقرار القيادة العسكريّة السوريّة مشاركة جيش التحرير للجيش السوريّ في مواجهة الحركة الوطنيّة اللبنانيّة ومنظّمة التحرير. والانشقاق الثاني حصل في طرابلس عام 1983 (وكان جيش التحرير تحت قيادة محمد طارق الخضراء رئيس الأركان الحاليّ)، حيث رفض العقيد عطية عوض، قائد قوّات "أجنادين" في جيش التحرير الفلسطينيّ، أوامرَ عسكريّةً سوريّةً وجّهت إليه للمشاركة في مهمّاتٍ قتاليّةٍ في طرابلس والمخيّمات الفلسطينيّة ومواجهة مقاتلي حركة فتح. وكان مصير العقيد "عوض" رمزيًّا هو مصير جيش التحرير في سورية، حيث استدعي إلى دمشق واعتقلته المخابرات العسكريّة السوريّة، وفشلت بعدها كلّ المحاولات في معرفة مكان احتجازه إلى أن بُلّغت أسرته بوفاته مطلع عام 2003، ولم يسلّم جثمانه لأسبابٍ أمنيّةٍ، حسب ما قيل حينها. وهو ما كرّره النظام السوريّ مع الضبّاط الوطنيّين في جيش التحرير الذين رفضوا التورّط في الحرب السوريّة، وإن كان قد اغتالهم أو أعدمهم علنًا حتى تكون رسالته لبقيّة الضبّاط أكثر مباشرةً، ومفادها: أنّ من يرفض تعليماته يُقتل فورًا.

اقتصر وجود جيش التحرير الفلسطينيّ على وجوده في سورية، بعدما انتهى في باقي الدول المضيفة، واستطاع النظام السوريّ في عهد الرئيس السابق حافظ الأسد تقليص علاقة جيش التحرير بقيادة منظّمة التحرير، لحدودها القانونيّة التي لا يستطيع إنهاءها كونها مصدر شرعيّة هذا الجيش (مع العلم أنّه لا يزال لجيش التحرير مخصّصات من منظّمة التحرير)، وبعد أن

23- يمكن العودة إلى البندين "القيادة العامة لقوات الثورة" و"جيش التحرير الفلسطيني، في قرارات الدورة التاسعة للمجلس الوطني الفلسطيني، الدورة التاسعة 1971،(آخر زيارة في تاريخ 2018/9/22).
http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3246

أنهى النظام السوريّ الدور الفلسطينيّ لجيش التحرير، ها هو يستخدمه، بشكلٍ غير شرعيٍّ ولا قانونيّ، في حربه على الشعب السوريّ؛ فيرتكب جيش التحرير الفلسطينيّ انتهاكاتٍ ويخسر عناصره في معركةٍ غير عادلةٍ ولا شرعيّة.

رابعًا: العلاقة الماليّة

منذ مؤتمر القمّة العربيّة الثاني الذي تمّ الاعتراف فيه بمنظّمة التحرير، وجيش التحرير، تبرّعت دولٌ عربيّةٌ بمبالغَ لمصلحتهما. ومنذ ذلك الحين، وكلّما حصل تقاعسٌ من الدول العربيّة في دفع ما تَعدُ به، كانت منظّمة التحرير تعوّض احتياجات جيش التحرير من الصندوق القوميّ[24].

إجرائيًّا، منذ عام 1966 اتّخذ رئيس اللجنة التنفيذيّة لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة قراراتٍ تتعلّق بالقوانين والأنظمة العسكريّة، ومنها تلك المتعلّقة بصرف الرواتب والتعويضات. وفي أيار/ مايو 1967 فُتح حسابٌ جديدٌ باسم: "القيادة العامّة– إدارة الشؤون العامّة" للصرف على العمل الفدائيّ، ومنحت صلاحيّة التوقيع لتحريك ذلك الحساب إلى كلٍّ من اللواء وجيه المدني، والعميد الركن صبحي الجابي والمقدّم عبد العزيز فياض الوجيه[25].

وأظهرت قيادة منظّمة التحرير ديناميّةً بإجراءاتها في هذا الخصوص، حيث حرصت على الدفع لجيش التحرير ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا، فنجد قرارًا من المجلس الوطنيّ السابع ينصّ على أنّ "الإنفاق على جيش التحرير الفلسطينيّ وقوّات التحرير الشعبيّة يجري بموجب ميزانيّةٍ خاصّةٍ تفصيليّةٍ تضعها القيادة العامّة للجيش في حدود اعتمادات موازنة عام 69/68 على أن تقرّها اللجنة التنفيذيّة"[26]. وبحسب الموقع الرسميّ لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة، فإنّ الصندوق القوميّ الفلسطينيّ أدّى دور وزارة الماليّة، بالنسبة إلى منظّمة التحرير، حيث أشرف على شتّى الأنشطة الماليّة للمنظّمة، من إيراداتٍ ونفقاتٍ، وتوجيه الاستثمارات في المسار الصحيح. وذلك في إطار الميزانيّة المعتمدة من المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ، ومنه مراقبة نفقات جيش التحرير بالتعاون مع الإدارة الماليّة الخاصّة به (وهو ما لم يجرِ عليه تعديلٌ حتى الآن)[27].

24- ورد في النظام الأساسي لمنظمة التحرير "المادة 24: "ينشأ صندوق يعرف بالصندوق القومي الفلسطيني لتمويل أعمال المنظمة يقوم بإدارته مجلس إدارة خاص يؤلف بموجب نظام خاص بالصندوق يصدره المجلس الوطني". مصدر سبق ذكره.

25 - عياش، عبدالله، جيش التحرير الفلسطيني وقوات التحرير الشعبية ودورهما في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي 1964- 1973، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، (بيروت، ط1، 2014)، ص 55.

26- البند الثاني من القرارات الخاصة بجيش التحرير الصادرة عن الدورة السابعة للمجلس الوطني، (آخر زيارة في تاريخ 2018/9/21).
http://www.plo.ps/article/43724/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D8%B9%D9%80%D8%A9

27 - الموقع الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية، دوائر منظمة التحرير، الصندوق القومي الفلسطيني، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 21/ 9/ 2018). http://www.plo.ps/category/91/1/الصندوق-

ونجد كمثالٍ على معالجة منظّمة التحرير للحاجات الماليّة لجيش التحرير ما سجّلته الدورة الحادية عشرة للمجلس الوطنيّ الفلسطينيّ، المنعقدة في القاهرة في تاريخ 6-10 كانون الثاني/ يناير 1973، وفيه ناقشت اللجنة الماليّة المنبثقة عن المجلس الوطنيّ ميزانيّة مؤسّسات منظّمة التحرير المتضمّنة مخصّصات جيش التحرير الفلسطينيّ التي بلغت في عام 1972- 1973: مليون و500 ألف دينارٍ أردنيّ، كما هو موضّحٌ في الجدول أدناه. وأوصت اللجنة المكلّفة بمناقشة تقرير الصندوق القوميّ الفلسطينيّ "بالتحرّك رغم الظروف والمواقف من أجل حثّ الدول العربيّة على الوفاء بالتزاماتها الماليّة المتراكمة تجاه ميزانيّة منظّمة التحرير الفلسطينيّة ونفقات إدامة جيش التحرير الفلسطينيّ، ورصد اعتماداتٍ إضافيّةٍ مناسبةٍ في ميزانيّة عام 1974/1973 تكفل لجيش التحرير الفلسطينيّ استكمال وسائط الدفاع الجويّ"[28].

الرقم	اسم المؤسّسة، المكتب، الدائرة، المنظّمة	قيمة الاعتماد
1-	المجلس الوطنيّ	20,750
2-	اللجنة التنفيذيّة	58.000
3-	دائرة الشؤون الإداريّة	15.000
4-	الدائرة العسكريّة	116.000
5-	دائرة التنظيم الشعبيّ	79 ,216
6-	دائرة الإعلام والتوجيه	50.000
7-	الدائرة السياسيّة	12.000
8-	دائرة الصندوق القوميّ	33.000
9-	دائرة شؤون الوطن المحتلّ	60.000

28- الدورة الحادية عشر،(آخر زيارة في تاريخ 2018/9/21).
http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3252

الرقم	اسم المؤسّسة، المكتب، الدائرة، المنظّمة	قيمة الاعتماد
10-	دائرة الشؤون التربويّة والثقافيّة	5.000
11-	مركز الأبحاث	50.000
12-	مركز التخطيط	25.000
13-	الإذاعة	15.000
14-	اللجنة السياسيّة العليا لشؤون الفلسطينيّين في لبنان	30.000
15-	جيش التحرير الفلسطينيّ	1.500.000
16-	مكاتب المنظّمة	175.000
17-	احتياطيّ الصندوق القوميّ	20.000
18-	**المجموع**	**2.263.966**

خامسًا: التنازع مع الحكم البعثيّ في سورية على جيش التحرير الفلسطينيّ

سعى حكم البعث للسيطرة على جيش التحرير في سورية منذ تأسيسه، فتدخّل بتعيين الضبّاط والقادة، إضافة إلى تدخّل جهاز استخباراته بكلِّ شاردةٍ وواردةٍ؛ حيث أصرّت القيادة السوريّة أن يتمّ تبادل المراسلات بين منظّمة التحرير ووحدات جيش التحرير من خلال الاستخبارات العسكريّة السوريّة. وقد أكّد مدير مكتب منظّمة التحرير آنذاك، مصطفى سحتوت، استلامه رسالةً من القيادة السوريّة، تضمّنت تحفّظها على تعيين كلٍّ من الضبّاط الفلسطينيّين: سمير الخطيب وعبد العزيز الوجيه، وعبد الرزاق اليحيى[29]. وفي 8 حزيران/ يونيو 1965 صدر قرارٌ من اللجنة التنفيذيّة في منظّمة التحرير بتعيين العقيد صبحي الجابي للعمل في جيش التحرير، وعلى ضوء هذا قابل "الجابي" اللواء أحمد سويداني رئيس شعبة المخابرات آنذاك، واللواء صلاح جديد رئيس الأركان، لأخذ موافقة قيادة الجيش السوريّ على عمله في قيادة جيش التحرير الفلسطينيّ[30].

وهكذا اصطدم الحكم في سورية بمحاولات منظّمة التحرير المتكرّرة والمستمرّة، استرداد قرار جيش التحرير، ومنه قرارات المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ (وهو الهيئة التشريعيّة لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة) في الدورتين السادسة والسابعة اللتين توصيان ببذل كلّ الجهد لجعل جيش التحرير الفلسطينيّ حرّ الإرادة والقيادة، ومنه أيضًا قرارات المجلس الوطنيّ في دورته الثامنة الاستثنائيّة التي انعقدت في عمان في أواخر آب/ أغسطس 1970، حيث طلب المجلس الوطنيّ من الدول العربيّة المعنيّة "إطلاق حريّة جيش التحرير الفلسطينيّ، ووضعه بالفعل تحت تصرّف قيادة منظّمة التحرير الفلسطينيّة والتي تقوم بدورها في تحريك هذا الجيش، ونقله إلى الأماكن المناسبة التي يجب أن يكون فيها".

ومع وصول حافظ الأسد إلى الحكم، عبر انقلابه على رفاقه، عام 1970، حصل تطوّرٌ نوعيٌّ في هذا المسار. فالرئيس الذي قدم بخطٍّ جديدٍ يتوافق مع ما تريده الدول الكبرى حينذاك، بدأ بحكم سورية بيدٍ من حديد، وتصفية كلّ خصومه. وممّا فعله السيطرة على جيش التحرير عبر قيادةٍ تابعةٍ له، وإجراء تحويلٍ في عقيدة الجيش التي كانت مبنيّةً على رفض الحزبيّة حسب

29 - عياش، جيش التحرير الفلسطيني وقوات التحرير الشعبية، ص 44.
30 - مصدر سابق، ص 41.

النظام الأساسيّ للجيش لتصبح بعثيّةً في الظاهر وأسديّة المحتوى في العمق (كحال سورية برمّتها)، ما أتاح له توريط جيش التحرير في ما ينافي طبيعة الوطنيّة الفلسطينيّة؛ حيث دفع بجيش التحرير برفقة الجيش السوريّ إلى لبنان عام 1976، وكان حينها تحت قيادة اللواء مصباح البديري، لضرب منظّمة التحرير والحركة الوطنيّة اللبنانيّة، ما أدّى إلى أوّل انشقاقٍ في جيش التحرير.

وزادت تبعيّة جيش التحرير الفلسطينيّ للسلطة السوريّة بشكلٍ نوعيٍّ حين استلم محمد طارق الخضراء رئاسة أركان جيش التحرير في سورية، وهو قبل ذلك أنشأ شعبة الاستطلاع والأمن العسكريّ في جيش التحرير، وتولّى قيادة قوّات "حطّين"، وتولّى مهامّ قيادة قوّات الارتباط في شماليّ لبنان (قبل دخول قوّات الردع السوريّة) من أواخر عام 1975 حتى النصف الثاني من عام 1976 وهو برتبة مقدّم[31] (حين رفض زملاؤه الوطنيّون هذا الدور في مواجهة منظّمة التحرير، وانشقّ بعضهم)، ما سمح للنظام السوريّ بالتفكير مرّة أخرى في استخدام جيش التحرير في مواجهة منظّمة التحرير، فعاد وأرسله ليقاتلها في مدينة طرابلس اللبنانيّة ومخيّماتها عام 1983، الأمر الذي أدّى إلى انشقاقٍ في صفوفه بقيادة العقيد عطية عوض.

فعلى الرغم من إقرار "الخضراء" تبعيّة جيش التحرير لمنظّمة التحرير، حين قال في سياق استذكار طور تأسيس جيش التحرير الفلسطينيّ، عبر برنامج "خفايا التاريخ" الذي بثّته قناة الإخباريّة السوريّة في 22/ 9/ 2015: "تمّ الاتّفاق على مؤسّسات منظّمة التحرير الفلسطينيّة وفي مقدّمة هذه المؤسّسات كان جيش التحرير الفلسطينيّ الذي سيكون الذراع العسكريّة المقاتلة التي ستساهم مع الدول العربيّة في تحرير فلسطين"[32] –إلّا أنّ اللواء "الخضراء" في الواقع كان من العاملين البارزين على تكريس علاقة تبعيّة جيش التحرير الفلسطينيّ للقيادة السوريّة، على حساب علاقته مع منظّمة التحرير الفلسطينيّة. وهو ما يثبته "الخضراء" نفسه في مقدّمة الجزء

31- لمحة عن حياة القائد العام لجيش التحرير الفلسطيني رئيس هيئة الأركان اللواء محمد طارق الخضراء، جيش التحرير الفلسطيني- إدارة التوجيه المعنوي والسياسي، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/22).
http://www.palarmy.com/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%A6%D8%AF-/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85

32- مقابلة اللواء محمد طارق الخضراء، قائد جيش التحرير الفلسطيني، التي بثت على قناة الإخبارية السورية ضمن برنامج "خفايا التاريخ في تاريخ 22 أيلول/ سبتمبر 2015. (تم حذف الفيديوهات لاحقًا من مواقع "اليوتيوب"، آخر مشاهدة كانت في 2018/8/29).
https://www.youtube.com/watch?v=-XCSVEF9KTQ

الثاني من مقابلته في البرنامج نفسه (وكأنّها بدايةٌ اعتذاريّةٌ عن قوله إنّ جيش التحرير من مؤسّسات منظّمة التحرير في الجزء الأوّل) حيث قال: "كانت القيادة (القيادة السوريّة) توكل أصعب المهامّ إليّ، ولم توكل إليّ مهمّةً إلّا نفّذتها بنجاح". إضافة إلى ذكره، في أكثر من موضعٍ في اللقاء نفسه، تلقّيه الأوامر مباشرةً من اللواء حكمت الشهابي والرائد غازي كنعان (وهو ضابط أمن سوري وليس ضابط جيش) إبّان الحرب اللبنانيّة[33].

والحال، بقيت علاقة جيش التحرير في سورية بمنظّمة التحرير محصورةً بالتبعيّة القانونيّة (للحاجة إلى الشرعيّة)، والاستفادة المادّيّة (حيث لا يزال جيش التحرير بمكانته القانونيّة من مكوّنات منظّمة التحرير، وله مستحقّاتٌ ماليّةٌ منها)، وبالإطار الأخير لا تزال قرارات المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ في ما يتعلّق بجيش التحرير الفلسطينيّ سارية المفعول، من دون أيّ التزامٍ من جهة جيش التحرير بها استجابةً لقرار النظام السوريّ؛ وفي مقدّمة هذه القرارات موضوع استقلاليّة جيش التحرير الفلسطينيّ عن الدول العربيّة وتبعيّته لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة، ومنها أيضًا ما صدر عن الدورة العاشرة الاستثنائيّة للمجلس الوطنيّ، المنعقدة في نيسان/ أبريل 1972، عن عضويّة ثلاثةٍ من ضبّاط جيش التحرير في المجلس الوطنيّ (بينهم محمد طارق الخضراء)، وعضويّة قائد جيش التحرير في اللجنة المركزيّة لمنظّمة التحرير المنبثقة عن المجلس الوطنيّ.

وبالتزامن مع نشأة سلطة الحكم الذاتيّ الفلسطينيّ المحدود في بعض مناطق الضفّة الغربيّة وقطاع غزة، إثر اتفاقيّة أوسلو عام 1993، ومع ظهور إرادةٍ دوليّةٍ بتحويلها إلى نواة دولةٍ ربطت بالتفاوض مع إسرائيل، ارتفع مستوى التناقض، والقطيعة العمليّة، بين منظّمة التحرير وجيش التحرير الفلسطينيّ في سورية؛ فبينما انتقل عناصر جيش التحرير الفلسطينيّ من قوّات "بدر" وقوّات "عين جالوت" لينضمّوا إلى مشروع الدولة في أراضي "السلطة الفلسطينيّة"، رفض النظام السوريّ الاعتراف بالسلطة الفلسطينيّة، واستمرّ باتّهام القيادة الفلسطينيّة بالعمالة، وأدار الفصائل الفلسطينيّة التي كان قد عمّد تبعيّتها له في عام ١٩٨٣ بانشقاقٍ كبيرٍ في فتح، ثمّ إنشاء تحالفاتٍ أطلق عليها أسماء كثيرةً كان آخرها "تحالف قوى المقاومة الفلسطينيّة"، واستمرّ بالسيطرة على جيش التحرير الفلسطينيّ الموجود على الأراضي السوريّة.

33 - حديث اللواء الركن طارق الخضراء، في برنامج "خفايا التاريخ" الذي بثّ على الإخبارية السوريّة، في أيلول/ سبتمبر 2015، مصدر سبق ذكره.

سادسًا: جيش التحرير في الحرب السوريّة

كما أسلفنا، يتبع جيش التحرير في سورية قانونيًّا لمنظّمة التحرير والجامعة العربيّة، اللتين أسّستاه، إلّا أنّه عمليًّا طوال حكم حافظ الأسد، ووريثه بشار الأسد، يتبع لنظام الحكم في سورية بشكلٍ مطلقٍ، وهو ما سبق وأشرنا إليه، عند الحديث عن إقرار محمد طارق الخضراء في برنامج "خفايا التاريخ" الذي بثّته قناة الإخباريّة السوريّة: "كانت القيادة (القيادة السوريّة) توكل أصعب المهامّ إليّ، ولم توكل إليّ مهمّةً إلّا نفّذتها بنجاح [34]. حيث تمّ تنحية كلّ الضبّاط الوطنيّين، وتعيين الضبّاط البعثيّين، وتمّ تغيير عقيدته من العقيدة الوطنيّة إلى العقيدة البعثيّة ظاهرًا والعقيدة الأسديّة فعليًّا.

يضمّ جيش التحرير في سورية داخل صفوفه أبناء المخيّمات الفلسطينيّة من ضبّاطٍ وصفّ ضبّاطٍ وأفرادٍ متطوّعين ومجنّدين يؤدّون الخدمة الإلزاميّة، حيث يتمركز في أربعة مواقع عسكريّة رئيسة بقوام ثلاثة ألوية مشاة وهي (قوّات حطّين، قوّات القادسيّة، قوّات أجنادين)، إضافة إلى معسكر التدريب الرئيس في منطقة مصياف التابعة لمحافظة حماة، ورئاسة الأركان الواقعة في منطقة معضمية الشام، وهناك أيضًا بعض المواقع الصغيرة الأخرى التي تتبع رئاسة الأركان، كرحبة السيارات في مخيّم جرمانا، وموقع الاستطلاع في المزّة، إضافة إلى بعض المراكز الخدميّة والطبيّة والمؤسّسات الثقافيّة كمركز حلوة زيدان ومشفى فايز حلاوة والإدارة الماليّة في مخيّم اليرموك". وبحسب اللواء محمد طارق الخضراء، فإنّ جيش التحرير الفلسطينيّ يبلغ تعداده نحو ستّة آلاف مقاتلٍ، منهم ثلاثة آلاف مقاتلٍ انخرطوا في المعارك في سورية[35].

وبعد انتقال النظام السوريّ من الحلّ الأمنيّ إلى الحلّ العسكريّ في حربه على الثورة السوريّة سعى إلى توريط جيش التحرير الفلسطينيّ، فوجد مقاومةً داخل الجيش تنسجم مع التوجّه العامّ الشعبيّ الفلسطينيّ، والرسميّ لمنظّمة التحرير، بعدم التورّط، على الرغم من سيطرة النظام على معظم قيادته. وهذا التوجّه له مؤشّراته في الواقع الفلسطينيّ السوريّ؛ فقد عمد الكثير من الشبّان الفلسطينيّين إلى مغادرة البلاد، والسفر إلى البلدان المجاورة، بسبب رفضهم الالتحاق بهذه الخدمة

34 - حديث اللواء الركن طارق الخضراء، في برنامج "خفايا التاريخ" الذي بثّ على الإخبارية السوريّة، في أيلول/ سبتمبر 2015، مصدر سبق ذكره.

35- الوطن، الخضراء لـ«الوطن»: اتفاق مخيم اليرموك أخفق ونقاتل مع الجيش السوري في 15 موقعًا، تموز/ يوليو 2017، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/21). http://alwatan.sy/archives/110932

خلال الحرب الدائرة في سورية. في حين انشقّ العديد من عناصر "جيش التحرير" وانضمّوا إلى مجموعات المعارضة لقتال النظام السوريّ. وهو ما كان دومًا مثار تعاطفٍ شعبيٍّ، وتأييدٍ بين صفوف المجنّدين الإلزاميّين الذين، وإن لم يستطيعوا الانشقاق في الحالات المذكورة، إلّا أنّهم كانوا ينظرون إلى من فعل بعين التبجيل.

ولمعالجة هذه المقاومة (وهو ما يصفه اللواء محمد طارق الخضراء بـ"غسل الأدمغة"[36])، وضمن عمليّة توريطٍ تدريجيٍّ لجيش التحرير في مستنقع الحرب السوريّة، عمل النظام السوريّ على إستراتيجيّةٍ مستخلصةٍ من تلك التي أنتجها لتوريط مؤسّسات الدولة السوريّة في وجه كلّ من يقاوم في داخلها، مع عناصر لمعالجة الخصوصيّة الفلسطينيّة. واعتمدت هذه الإستراتيجيّة على التدرّج، فكانت على التتابع التالي:

أ- اغتيال ضبّاطٍ رافضين للتورّط، واتّهام المعارضة؛ ففي عام 2012 اغتيل العقيد رضا الخضراء في "عرطوز" في ريف دمشق قرب منزله، وكذلك اغتيل العقيد عبد الناصر مقاري في "مخيّم اليرموك" في دمشق، واغتيل العقيد أحمد صالح الحسن في منطقة "صحنايا" في ريف دمشق، والعميد الطبيب محمد أنور السقا في منطقة "بساتين برزة" في دمشق، والعميد عبد الرزاق سحيم الذي استُهدِفت سيارته عند مروره على أحد حواجز النظام في منطقة "قطنا" في ريف دمشق. وفي السياق نفسه تعرّض العقيد وهدان رواشدة للخطف، مع سيارته، قرب حاجزٍ عسكريٍّ يتبع للجيش السوريّ في منطقة "جديدة الفضل" في ريف دمشق. وتوجّهت أصابع الاتّهام إلى النظام السوريّ بارتكاب هذه الجرائم بدعوى أنّ هؤلاء الضبّاط كان لهم موقفٌ رافضٌ من الزجّ بجيش التحرير في مواجهة الشعب السوريّ، وبدوره حمّل النظام فصائل المعارضة مسؤوليّة

36- يصف اللواء محمد طارق الخضراء، في مقابلة مع قناة المنار التابعة لميليشيا حزب الله اللبنانية، موقف الشباب الفلسطيني في سورية، ومنهم أفراد وضباط جيش التحرير، بالقول: "وبدأنا نحضر مقاتلينا نفسيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا وفكريًّا في جيش التحرير الفلسطيني الذي كان معظم أفراده يسكنون في أرياف المحافظات السورية. معظم الشعب الفلسطيني كان يقيم في مختلف أرياف المحافظات السورية. للأسف في ذلك الوقت كانت هذه الأرياف تشكل حاضنة للإرهاب، وكان من الصعوبة الكبيرة أن تستطيع انتزاع الشباب الفلسطيني من هذه البؤرة التي تحرض ضد سورية، وبالتالي كان علينا في قيادة جيش التحرير الفلسطيني أن نبذل جهودًا مضاعفة لتوضيح الأهداف الخفية وراء هذا الحراك الشعبي الذي يتظاهر بالدعوة إلى الإصلاح، وفي حقيقته هو محاولات خلق الفوضى والاضطراب ومن ثم القتال المسلح ضد الدولة السورية لإسقاطها ومن ثم تنفيذ المخطط الأمريكي الصهيوني". ويردف بالقول "إن هذا الموضوع شكل هدفًا أساسيًّا واحتاج إلى جهد كبير مضاعف لكي نغسل أدمغة من تشوشت أفكارهم وظنوا أن القضية إصلاحية وقضية داخلية سورية سورية، وتمكنا بعد جهد جهيد أن نخلق الموقف والفكر الموحد والإرادة والقناعة الموحدة بان الهدف من هذا الحراك هو تحطيم سورية". (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/23).
http://www.palarmy.com/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%A8%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D9%85%D9%84%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%88%D8%A7%D8%A1-/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B7%D8%A7

العمليّة. بينما نعتمد حقيقة أنّ عمليّات اغتيال الضبّاط توقّفت ما إن توقّف الصوت المعارض في وسطهم، وتورّط جيش التحرير في الحرب السوريّة، معيارًا رئيسًا من معايير تحديد الفاعل.

وفي تموز/ يوليو 2012، قامت مجموعاتٌ مسلّحةٌ مجهولةٌ باختطاف ستّة عشر مجنّدًا من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ وهم في طريق عودتهم من موقعهم العسكريّ في مصياف – قرب إدلب– إلى مخيّم "النيرب" في حلب قبل أن تتمّ تصفيتهم بعد شهرٍ من اختطافهم. واتّهم النظام السوريّ وقتها، مجموعات المعارضة السوريّة المسلّحة بتصفيتهم، وقام الأمن السوريّ وعناصرُ مواليةٌ له بالترويج لذلك وتجييش أبناء مخيّم النيرب لقتال المعارضة السوريّة بالتزامن مع تشكيل مجموعة لواء القدس العسكريّة للقتال إلى جانب الجيش السوريّ في حربه ضدّ المعارضة السوريّة، إلّا أنّ المعارضة المسلّحة نفت مسؤوليّتها عن المجزرة. وبعد اقتحام مجموعات المعارضة المسلّحة أوائل عام 2015 لفرع الأمن الجنائيّ (أحد الأفرع الأمنيّة السوريّة) في مدينة إدلب وسيطرتها عليه، عثرت على صورٍ قالت إنّها لمجموعةٍ من المعتقلين تمّت تصفيتهم تحت التعذيب على يد عناصر الأمن السوريّ، ومن بين صور المعتقلين وجدت صورًا لجثمانَي المجنّدَين الفلسطينيَّين "محمد محمود أبو ليل" و"أنس كريم" تبدو عليهما آثار التعذيب. الأمر الذي عدّته المعارضة دليلًا على مسؤوليّة الأمن السوريّ في إدلب على مجزرة جيش التحرير الفلسطينيّ[37].

جدول يبيّن أسماء الضحايا من مجنّدي جيش التحرير الفلسطينيّ الذين أعدموا في إدلب – بنش

الرقم	اسم الضحية	تاريخ الحادثة	عنوان السكن	التفاصيل
.1	محمد صبري أبو خالد	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	تم إعدامهم أثناء عودتهم لقضاء إجازة في مدينة إدلب – بنش
.2	محمد محمود أبو ليل	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	
.3	محمد الجدع	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	

37- مجموعة العمل من أجل فلسطينيي سوريا، في الذكرى السادسة لمجزرة مجندي جيش التحرير الفلسطيني شمال سورية لايزال القاتل مجهولًا، تموز/ يوليو 2018، http://www.actionpal.org.uk/ar/post/10159

الرقم	اسم الضحية	تاريخ الحادثة	عنوان السكن	التفاصيل
4.	أحمد قشطة	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	
5.	محمود ساعد	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	
6.	فريد قاسم	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	
7.	أنس كريم	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	
8.	شريف الباش	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	
9.	عماد مناع	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	
10.	محمد أيوب	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	
11.	مصطفى محمد هلال	2012/7/11	حلب – مخيم حندرات	
12.	محمد جمعة أبو الزلف	2012/7/11	حلب –مخيم حندرات	
13.	محمد رافع رافع	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	
14.	أحمد مجامسة	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	
15.	فراس أبو الحسن	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	
16.	أحمد أبو العز	2012/7/11	حلب – مخيم النيرب	

ب– أمر جيش التحرير بدايةً بحماية المنشآت المدنيّة في مناطق المواجهات لافتعال قتالٍ بينه وبين المجموعات المعارضة المسلّحة، ثم بدأ توريطه بالأعمال الحربيّة بالتدريج؛ حيث حُرّكت كتائب مضمونٌ ولاء ضبّاطها وصفّ ضبّاطها، للمشاركة في مناطق اشتباك بعيدةٍ عن التجمّعات الفلسطينيّة. فمن الملاحظ من خلال تتبّعنا مشاركة جيش التحرير الفلسطينيّ على امتداد خريطة الأعمال العسكريّة في سورية، نجد أنّ النظام تعامل مع جيش التحرير كقوّاتٍ

هامشيّةٍ وغير موثوقٍ فيها واتّبع معها سياسة "التوريط المتدرّج"؛ حيث استخدمه في البداية بمهمّاتٍ غير قتاليّةٍ، كحماية محطّة تشرين الحراريّة، ومن ثمّ زجّ به في مواجهاتٍ عند تعرّض عدرا لهجوم الفصائل الإسلاميّة في موقفٍ دفاعيٍ أكثر منه هجوميّ. وعن هذا تحدّث اللواء الخضراء في مقالةٍ نُشرت على موقع قناة العالم في 30 آب/ أغسطس 2017، حيث قال: إنّ "أولى ثمار التنسيق بين جيش التحرير الفلسطينيّ والقيادة السوريّة بدأت عندما طلبت القيادة السوريّة من عناصر هذا الجيش تولّي مسؤوليّة حماية عددٍ من المنشآت الحيويّة والاقتصاديّة المهمّة التي تساعد في توفير حاجات المواطنين السوريّين كمحطّات توليد الكهرباء ومخازن الوقود وغيرها، وكان أحد أبرز تجلّيات هذا العمل قيام وحداتٍ من جيش التحرير الفلسطينيّ المكلّفة بحماية محطّات الوقود في عدرا العمّاليّة في ردّ الإرهابيّين على أعقابهم عندما حاولوا التسلّل باتجاه الطريق الدوليّة بين دمشق وحمص والتي لا تبعد عن عدرا العمّاليّة أكثر من ألفٍ ومئتي متر، فقام عناصر الكتيبة ثمانين التابعة لجيش التحرير بالتصدّي لهم وردّهم إلى داخل المدينة بعدما أوقعوا في صفوفهم خسائر فادحة"[38].

كما أشرك النظام جيش التحرير كقوّاتٍ رديفةٍ في معاركه ضدّ تنظيم داعش في بادية السويداء وشرقيّ مدينة السلمية في محافظة حماة. ولم نلحظ خلال رصدنا لمجريات المعارك اشتراك جيش التحرير مع قوّات النخبة في الجيش السوريّ (الحرس الجمهوريّ، الفرقة الرابعة، قوّات النمر...) إلّا في مواقعَ قليلةٍ جدًّا بحكم أماكن تمركز جيش التحرير، بل كانت مشاركة جيش التحرير غالبًا مع القوّات التي يستخدمها النظام كحطبٍ في المواجهات (حيث يرميها في المعركة لامتصاص ردّة فعل مسلّحي المعارضة، فيموت من عناصرها الكثيرون).

ت- توريط المخيّمات الفلسطينيّة في سورية بوسائلَ؛ منها إنشاء ميليشياتٍ عسكريّةٍ من المجرمين وأصحاب السوابق (مثل لواء القدس في مخيّمي حلب، وميليشيا فلسطين حرّة في

38- قناة العالم، في خنادق جيش التحرير الفلسطيني في سوريا: حين لا تضيع البوصلة، آب/ أغسطس 2017، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/22).
http://www.alalam.ir/news/2010654/%D9%81%D9%8A-%D8%AE%D9%86%D8%A7%D8%AF%D9%82-%D8%AC%D9%8A%D8%B4-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7--%D8%AD%D9%8A%D9%86-%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D8%B6%D9%8A%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D8%B5%D9%84%D8%A9

دمشق)، ودفعها إلى الحرب بمشاركة ميليشيا الفصائل الفلسطينيّة التابعة للنظام السوريّ التي نسّقت وتلقّت دعمًا سياسيًّا ومعنويًّا من قيادة جيش التحرير[39]، ومنها أيضًا دفع المجموعات المسلّحة المخترقة من الأجهزة الأمنيّة للنظام إلى اجتياح مخيّم اليرموك (حيث اقتحمت مجموعة "صقور الجولان"، ومن أبرز قادتها "بيان مزعل" المتهم من قبل شهود باستمرار علاقته بأجهزة الأمنية السورية، مخيّم اليرموك في كانون أوّل/ ديسمبر 2012، وركّز لواء الجولان اهتمامه على النهب، والاعتداء على الأهالي)، بهدف تحريض عناصر جيش التحرير على المعارضة (مع العلم أنّ لهذه الإستراتيجيّة أهدافًا أخرى غير جيش التحرير).

ث- إعدام من يرفض تنفيذ الأوامر؛ ففي شباط/ فبراير 2015، أقدمت قوّات النظام على إعدام خمسة ضبّاطٍ من "جيش التحرير" في بلدة قطنا في ريف دمشق بعد رفضهم إرسال عناصرهم إلى محافظة درعا للمشاركة في المعارك ضدّ المعارضة.

ج- العمل على إيجاد دعمٍ سياسيٍ من قبل الفصائل الفلسطينيّة، ومؤسّساتٍ محسوبةٍ على المجتمع المدنيّ، تابعةٍ للنظام، لتورّط جيش التحرير في الحرب السوريّة. مثل مطالبة فصائل التحالف الفلسطينيّ في دمشق بتدخّل جيش التحرير في مخيّم خان الشيح ومخيّم اليرموك، وعموم المخيّمات. ومنه أيضًا دعوة مؤسّسة "جفرا"، بالشراكة مع ميليشيا "فلسطين حرّة"، لمهرجانٍ تكريميٍ في مخيّم جرمانا، في 17/ 11/ 2017، لتكريم ضحايا الجيش في الحرب السوريّة، بمناسبة الذكرى السنويّة الثالثة والخمسين لتأسيس جيش التحرير الفلسطينيّ، والذكرى الثانية والسبعين لتأسيس الجيش السوريّ. تحت شعار "وطن واحد- دم واحد- خندق واحد".


اللجنة الشعبية الفلسطينية المناهضة للعدوان على سورية والمقاومة وبالتعاون
مع مؤسسة جفرا للإغاثة والتنمية الشبابية وحركة فلسطين حرة
وتحت شعار من التصحيح المجيد إلى حرب تشرين التحريرية
(وطن واحد - دم واحد - خندق واحد)
تتشرف بدعوتكم لحضور المهرجان التكريمي بمناسبة الذكرى السنوية الثالثة والخمسين
لتأسيس جيش التحرير الفلسطيني المقاوم والذكرى الثانية والسبعين
لتأسيس الجيش العربي السوري الباسل
وتكريم عدد من أسر الشهداء يوم الجمعة الموافق ١٧ / ١١ / ٢٠١٧ الساعة ٢ ظهراً
في مخيم جرمانا أمام مكتب الصاعقة الساعة الثانية عصراً
وفاء لدماء شهدائنا الأبرار ووفاء لمقاتلينا البواسل في مواجهة الإرهاب والإرهابيين

صورة للدعوة التي وجّهتها اللجنة الشعبيّة الفلسطينيّة المناهضة للعدوان على سورية، بالشراكة مع مؤسّسة "جفرا" وحركة "فلسطين حرّة".

39 - فيديو يظهر فيه اللواء "محمد طارق الخضراء" في مقابلة مع الإعلام الحربي لميليشيا "لواء القدس"، يوجّه فيه تحية إلى "لواء القدس" وقائده "محمد سعيد" ويمجّد بتضحياته. (آخر مشاهدة في تاريخ 2018/9/22).
https://www.facebook.com/yarmoknews/videos/1648927765183076/?t=202

ح- تحريك كتائب إلى مخيّم خان الشيح بعد التأكّد من أنّه تمّت تغطية وجودها سياسيًّا من قبل فصائل "تحالف قوى المقاومة الفلسطينيّة"، وبعد إنهاك الفلسطينيّين فيه بالحصار والتجويع، بحيث يصبح دخول الجيش له أهون الشرور. وبعدها دفع مؤسّسات "مجتمع مدنيّ" متعاونةٍ مع الأجهزة الأمنيّة إلى الإشادة بهذا الدخول، وجعلها تدعو لفعل الشيء نفسه في مخيّم اليرموك. وفي نهاية 2016 وُضِعت مفرزةٌ لجيش التحرير الفلسطينيّ في المخيّم ذات صلاحياتٍ واسعةٍ فرضت على السكّان القيام بإجراءاتٍ مشدّدةٍ عند الدخول أو الخروج إلى المخيّم كالتسجيل المسبق لأسماء الطلّاب أو الموظّفين أو الراغبين بالخروج باتّجاه المدينة. ومن ثمّة استدعت المفرزة أكثر من 150 شابًّا من أبناء مخيّم خان الشيح المتخلّفين عن أداء الخدمة الإلزاميّة، وقامت باحتجاز بطاقاتهم الشخصيّة ودفاتر خدمة العلم وأبلغتهم بوجوب الالتحاق بمعسكرات جيش التحرير لأداء الخدمة العسكريّة.

خ- نقل مجموعات من تنظيم "الدولة الإسلاميّة" (داعش) إلى محيط تموضع جيش التحرير في السويداء لافتعال اقتتال؛ ففي أيار/ مايو 2018 نقل المئات من مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلاميّة" من جنوبيّ دمشق إلى ريف السويداء الشرقيّ، عبر القلمون الشرقيّ مرورًا بأبيار القصب والقرى التي تخضع لسيطرة النظام شمال شرقيّ السويداء، وصولًا إلى منطقتي الأشرفية والعورة، التي تقع تحت نفوذ التنظيم شرقيّ السويداء، عقب اتفاقٍ بين الجانب الروسيّ والتنظيم يقضي بإخلاء الأخير مناطق جنوبيّ دمشق. كما أنّ النظام لم يزجّ بقوّات النخبة لديه (الحرس الجمهوريّ، الفرقة الرابعة، قوّات النمر...) في معارك بادية السويداء، بل اكتفى بعناصر من الفرقة 15 والفرقة الخامسة وجيش التحرير الفلسطينيّ، وبحسب ناشطين فإنّ النظام لا يضحّي بقوّات النخبة لديه في مواجهة داعش في ريف السويداء، ويرى آخرون أنّ النظام لا يزجّ بقوّات النخبة لديه إلّا حين يريد الحسم في منطقة ما، وملفّ داعش في السويداء ليس على قائمة الحسم، فها هو يستثمر فيه سياسيًّا الآن.

سابعًا: انشقاقات ضدّ التوريط

ومع تزايد الضغوط على جيش التحرير للانخراط في القتال إلى جانب قوّات النظام، اتّجهت مجموعةٌ من الضبّاط وصفّ الضبّاط والأفراد للانشقاق عن جيش التحرير بعدما رفضوا الاستجابة للأوامر الصادرة بالمشاركة في المواجهات ضدّ المعارضة السوريّة. وعلى إثر هذه الانشقاقات تشكّلت بداية "كتائب جيش التحرير الفلسطينيّ الحرّ"، ثمّ تشكّل "لواء أحرار جيش التحرير"، وبعدها أُعلن عن تشكيل "جيش التحرير الفلسطينيّ الحرّ". وكان من أبرز تلك الانشقاقات:

- انشقاق العقيد الركن قحطان إبراهيم طباشة

أعلن العقيد الركن "طباشة"، قائد الكتيبة 421 صاعقة في لواء القادسيّة، انشقاقه عن جيش التحرير الفلسطينيّ في تاريخ 20 تموز/ يوليو 2012، ورفض الخروج من سورية وقرّر الانضمام إلى فصائل المعارضة المسلّحة، حيث قام بتشكيل ما سمّي حينها بـ"كتائب جيش التحرير الفلسطينيّ الحرّ"[(40)]، وشارك بالقتال إلى جانب قوّات المعارضة في محافظة درعا إلى أن قضى مع مجموعةٍ من المقاتلين في المواجهات التي جرت في منطقة زيزون في الشهر العاشر من العام نفسه.

- انشقاق العقيد الركن خالد إسماعيل حسن برفقة مجموعةٍ من الضبّاط والجنود

في مطلع الشهر الرابع من عام 2013 نُشر على عددٍ من مواقع التواصل الاجتماعيّ واليوتيوب شريط فيديو يظهر فيه العقيد الركن "خالد إسماعيل حسن" من مرتبّات جيش التحرير الفلسطينيّ قوّات القادسية قائد الكتيبة 421 صاعقة، وهو يعلن انشقاقه مع عددٍ من الضبّاط والجنود عن جيش التحرير الفلسطينيّ وانضمامهم للجيش الحرّ وتشكيلهم "لواء أحرار جيش التحرير"[(41)] وذلك بسبب "جرائم النظام الوحشيّة"، و"لاسيما إنه حاول بشتى الوسائل، أن يزج جيشنا، وشغبنا الفلسطيني، للقتال ضد إخواننا في سوريا الحبيبة"، بحسب قوله. الجدير ذكره أنّ الضبّاط

40 - بيان انشقاق العقيد الركن قحطان إبراهيم طباشة، والإعلان عن تشكيل كتائب "جيش التحرير الفلسطينيّ الحرّ"، (آخر مشاهدة في تاريخ 2018/9/21).
https://youtu.be/hmPkiMUOCtA?t=65

41- بيان انشقاق العقيد الركن خالد إسماعيل حسن برفقة مجموعةٍ من الضبّاط والجنود، والإعلان عن تشكيل لواء "أحرار جيش التحرير"، (آخر مشاهدة في تاريخ 2018/9/21). https://youtu.be/5HOAZzB-DwQ?t=13

المنشقّين هم: الملازم أوّل "إياس نعيمي" والملازم "إيهاب قاسم" والملازم "محمد خليل" والملازم "باسل العلي" والملازم "أحمد حسن" والملازم "محمد أسعد"، ومجموعةٌ من صفّ الضبّاط والأفراد قيل يومها إنّ عددهم وصل إلى مئة عسكريٍّ تقريبًا. بعدها تمركزوا إلى جانب بعض كتائب المعارضة المسلّحة في المنطقة الجنوبيّة من دمشق وريفها الجنوبيّ، وقضى أغلبيّتهم في المواجهات العسكريّة ضدّ قوّات النظام في مناطق "البحدلية" و"الذيابية" ومخيّم "الحسينيّة" بين النصف الثاني من عام 2013 ومطلع عام 2015، وأيضًا في مخيّم اليرموك حيث قضى اغتيالًا هناك العقيد خالد حسن حين كان يقود عناصره في مواجهة "داعش" مطلع نيسان/ أبريل عام 2015.

ثامنًا: خريطة المعارك التي خاضها جيش التحرير الفلسطينيّ في سورية[42]

حاول ضبّاطٌ وعناصرُ من "جيش التحرير" عدم الانخراط في الأعمال القتاليّة الدائرة بين النظام والمعارضة في سورية خلال الأشهر والسنوات الأولى بعد اندلاع الثورة السوريّة، إلّا أنّ ضغوط النظام بسبب حاجته الماسّة إلى العناصر المدرّبة، دفعت جيش التحرير الفلسطينيّ الموجود في سورية إلى الانخراط تدريجًا في الصراع الدائر، بتشجيعٍ من قيادته الموالية للنظام السوريّ. وقد شارك جيش التحرير الفلسطينيّ في حملاتٍ عسكريّةٍ في أغلب المحافظات السوريّة[43]. وهو ما أكّده رئيس هيئة أركان جيش التحرير الفلسطينيّ، اللواء "الخضراء"، في حديثٍ لصحيفة "الوطن" الموالية للنظام السوريّ، أنّ جيش التحرير يقاتل إلى جانب قوّات الأسد منذ بدء الأحداث في البلاد، وكشف أنّ سيطرة فصائل المعارضة على مخيّم اليرموك جنوب دمشق جاء نتيجة خيانة. وأضاف "الخضراء": "نحن الآن نقاتل في أكثر من 15 موقعًا موزّعًا في أرياف درعا والسويداء ودمشق"، مؤكّدًا أنّ "قوّات جيش التحرير وقوّات الأسد استطاعت منع المسلّحين من الوصول إلى سجن عدرا". وعدَّ أنّ ما يجري في سورية يأتي في إطار مؤامرةٍ أميركيّةٍ صهيونيّةٍ ومن قبل عددٍ من الدول العربيّة لنشر "الفوضى الخلّاقة"، لتحقيق أمن وقوّة الكيان الإسرائيليّ[44]. وقد لقيت تلك المشاركة العسكريّة استحسان القيادة السوريّة، حيث حصل جيش التحرير، ورئيس أركانه "الخضراء"، على تكريمٍ وشكرٍ من النظام السوريّ في أكثر من مناسبة.

وإذا ما تتبّعنا خريطة الحرب في سورية، نجد أنّ جيش التحرير شارك في حرب الأسد على الشعب السوريّ في معظم المحافظات السوريّة، ومنها:

أ- **محافظة ريف دمشق:** في أيلول/ سبتمبر 2015، قضى كلٌّ من "نور الدين خير حسن" و"عبد الرحمن صبحي راجح" و"أحمد جهاد صالح" من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ، خلال

42- مقابلة مع اللواء طارق الخضراء مع قناة سما الموالية تتضمن عن مناطق مشاركة جيش التحرير الفلسطيني، وإستراتيجية مشاركته، (آخر مشاهدة في تاريخ 2018/9/23).
https://www.facebook.com/palarmy1964/videos/146529165946538/

43- تقرير صحفي عن جيش التحرير الفلسطيني على فضائية سما الناطقة بلسان النظام السوري. 2 تشرين الأول/ أكتوبر 2017، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/23).
https://www.facebook.com/tahrer.pal/videos/1749422342018027/

44- الوطن، الخضراء لـ«الوطن»: «جيش التحرير الفلسطيني» يقاتل في 15 موقعاً ... الخضراء لـ«الوطن»: ساهمنا بمنع وصول المسلحين إلى سجن عدرا ، أيلول/ سبتمبر 2015،(آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/21).
http://alwatan.sy/archives/20982

المواجهات التي اندلعت بين مجموعات المعارضة المسلّحة من جهةٍ والجيش النظاميّ وجيش التحرير الفلسطينيّ من جهةٍ أخرى في منطقة تل كردي التابعة لمنطقة عدرا في ريف دمشق.

وفي أيلول/ سبتمبر 2016، نعت صفحاتٌ إعلاميّةٌ مقرّبةٌ من جيش التحرير الفلسطينيّ على موقع التواصل الاجتماعيّ "فيس بوك"، عشرة قتلى سقطوا في معارك تل صوان، وهم:

المجنّد "محمد ماجد حوراني"، والمجنّد "قاسم نبيل دسوقي"، والملازم أوّل "علاء علي عجاج"، و"مهند حميد عبد الله"، و"مصطفى محمد هواري" من أبناء مخيّم حندرات، و"محمد نصر فلاح"، و"ضياء محمد أحمد" من مخيّم السيّدة زينب، و"محمد فتحي برو"، و"أحمد زهير شعبان"، قضوا خلال اشتباكاتٍ جرت في تل صوان في مدينة عدرا، في ريف دمشق، بين قوّات الجيش السوريّ ومعها مجموعات من جيش التحرير الفلسطينيّ من جهةٍ، ومجموعات المعارضة المسلّحة من جهةٍ أخرى، كما أُصيب عددٌ من المجنّدين الفلسطينيّين من أبناء مخيّم خان دنون خلال الاشتباكات[45]. وفي وقتٍ لاحقٍ قضى المجنّد "عمار محمود حميد عبد الله" من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ، وذلك في اشتباكاتٍ جرت في المنطقة نفسها.



المجند عمار محمود حميد عبد الله قضى في اشتباكاتٍ جرت في تل صوان

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 2016 شاركت وحداتٌ من جيش التحرير في حصار مخيّم "خان الشيح" في ريف دمشق[46].

---

45 - مجموعة العمل من أجل فلسطينيي سوريا، جيش التحرير الفلسطيني ينعي مجندَين جديدَين في ريف دمشق، أيلول/ سبتمبر 2016، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/23). http://www.actionpal.org.uk/ar/post/5647

46- مجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا، مصادر: جيش التحرير الفلسطيني يشارك بحصار واستهداف مخيم خان الشيح، تشرين الثاني/ نوفمبر 2016، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/22). http://www.actionpal.org.uk/ar/post/6125

وفي تموز/ يوليو 2015، وبعد أن خرج الأمين العام لحزب الله، حسن نصرالله، بخطابٍ أعلن فيه شعار "طريق القدس يمرّ من الزبداني"، في إشارةٍ إلى أهميّة المعارك التي يخوضها عناصر حزبه للسيطرة على مدينة الزبداني، نُشرت على صفحات التواصل الاجتماعيّ مقاطعُ مصوّرةٌ تؤكّد مشاركة عناصر جيش التحرير الفلسطينيّ إلى جانب قوّات الأسد وحزب الله اللبنانيّ في مدينة الزبداني الواقعة في القلمون الغربيّ في الريف الدمشقيّ؛ ومنها مقاطع تظهر مشاركة عناصر جيش التحرير الفلسطينيّ في قصف مدينة الزبداني بصواريخ من العيار الثقيل، مردّدين هتاف "لبّيك يا أقصى" و "لبّيك يا قدس"[47].





من صور نُشرت على صفحات موالين تشير إلى مشاركة جيش التحرير في معارك مدينة الزبداني (ريف دمشق)

وفي تموز/ يوليو 2017، نعت صفحة "جيش التحرير الفلسطينيّ/ الإعلام الحربيّ" تسعة قتلى من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ، مشيرةً إلى أنّهم قُتلوا "أثناء تأديتهم واجبهم الوطنيّ في

47 - فيديو يظهر مشاركة جيش التحرير الفلسطيني إلى جانب قوات سلطة الأسد، في قصف مدينة الزبداني في تموز/ يوليو 2015، (آخر مشاهدة في تاريخ 2018/9/21). https://youtu.be/8nzbNSgdIxk?t=55

معارك الشرف ضدّ العصابات الإرهابيّة في الغوطة الشرقيّة/ مزارع الريحان"، على حدّ تعبيرها، وهم:

محمد خالد حسن، ومحمود خالد حسن، ويحيى مفيد حسين، وإبراهيم حسين محسن، وأحمد بسام حسن، وكفاح محمد حسن، وهيثم إسماعيل قاسم، ومحمد خير مصطفى سويد، ومحمد أحمد عايدي.



صورة لمقاتلين من جيش التحرير الفلسطينيّ في الغوطة الشرقيّة (ريف دمشق)

وفي كانون الثاني/ يناير 2018، أعلنت صفحة "صدى يبرود الإخباريّة" إحدى صفحات موقع التواصل الاجتماعيّ "فيس بوك" التابعة للمعارضة السوريّة المسلّحة، أنّ "جيش الإسلام" التابع للمعارضة السوريّة المسلّحة أسر ثلاثة عناصر من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ هم: "أحمد محمود الموسى"، والملازم "أحمد زياد الخطيب"، و"محمد عدنان قبيعة" على جبهة قرية الزريقيّة شرقيّ الغوطة، وذلك بعد عمليّةٍ انغماسيّةٍ أدّت إلى مقتل تسعة جنودٍ وأسر ثلاثة عناصر من جيش التحرير الفلسطينيّ.

وفي آذار/ مارس 2018، ظهر نحو عشرين مقاتلًا (توحي الصورة أن عدد الجنود في الموقع أكبر) تابعين لـ "جيش التحرير الفلسطينيّ" في صورةٍ تداولتها وسائل إعلامٍ مواليةٍ للنظام السوريّ، وهم يشاركون في معارك الغوطة الشرقيّة المحاصرة، التي تتعرّض لهجوم قوّاتٍ من الفرقة الرابعة والحرس الجمهوريّ والحرس الثوريّ الإيرانيّ.



رئيس أركان جيش التحرير باجتماع مع قادة ميليشيا لواء القدس

وكان اللواء الركن، محمد طارق الخضراء قد أكّد أنّ "مشاركة [جيش التحرير] جيشَ النظام في معركة السيطرة على الغوطة الشرقيّة هو شرفٌ عظيمٌ وموقفٌ أساسيٌّ لإنهاء وجود التنظيمات الإرهابيّة في سورية، التي تعتمد على دعم الغرب والقوى المعادية للأمّة العربيّة وللقضيّة الفلسطينيّة"، وتابع قائلًا: "مشاركتنا في الغوطة الشرقيّة هي خطواتٌ مهمّةٌ ومواقفُ أساسيّةٌ لإنهاء الوجود الإرهابيّ في سورية حتى نتقدّم معًا لتحرير فلسطين"[48].



أحد عناصر جيش التحرير الفلسطينيّ، وهو يقصف المناطق المأهولة في جبهة جوبر– عين ترما (ريف دمشق)

وأوضح اللواء الخضراء، خلال مقابلةٍ نُشرت في موقع قناة "العالم" على الشبكة العنكبوتيّة، أنّ "مشاركة جيش التحرير في المعارك لاحقًا ساهمت إلى حدٍّ كبيرٍ في استعادة داريا والمعضمية،

48- تحالف قوى المقاومة الفلسطينية، اللواء الركن محمد طارق الخضراء: مشاركتنا مع الجيش السوري في معركة الغوطة الشرقية هو شرف وموقف أساسي في معركتنا ضد العدو الصهيوني، شباط/ فبراير 2018، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/21). https://www.tahaaluf.com/?p=30092

كما أنّ عناصره قاتلت إلى جانب الفرقة الرابعة في معارك خان الشيح ووادي بردى والقابون وبرزة ولا تزال تسطّر أروع الملاحم في معارك جوبر وعين ترما"[49].

ب- **محافظة دير الزور:** في أيلول/ سبتمبر 2016، قضى المقاتل الفلسطينيّ "عبد السلام علي العبيد" من أبناء منطقة حجيرة في ريف دمشق، وهو من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ خلال المواجهات بين قوّات النظام السوريّ من جهةٍ ومجموعات المعارضة المسلّحة من جهةٍ أخرى في مدينة دير الزور شرقيّ سورية.



المجنّد "عبد السلام علي عبيد" الذي قضى في معارك دير الزور (شرقيّ سورية)

ت- **محافظة درعا:** في كانون الثاني/ يناير 2016، نقل عدّة وحدات من جيش التحرير الفلسطينيّ إلى جبهة "الشيخ مسكين" المشتعلة في محافظة درعا، وذلك للمشاركة في القتال إلى جانب الجيش النظاميّ في معاركه ضدّ المعارضة السوريّة في تلك المدينة، بأوامرَ مباشرةٍ من قيادات في الجيش السوريّ النظاميّ، حيث قامت قيادة أركان جيش التحرير الفلسطينيّ بتنفيذها على الفور[50]. وفي هذه المعارك قضى كلٌّ من الملازم "سامر أحمد حسن" والملازم "إبراهيم علي جمعة" من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ، إثر الاشتباكات في بلدة "الشيخ مسكين" في

49- قناة العالم، في خنادق جيش التحرير الفلسطيني في سوريا: حين لا تضيع البوصلة، آب/ أغسطس 2017. (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/21).
https://www.alalam.ir/news/2010654/%D9%81%D9%8A-%D8%AE%D9%86%D8%A7%D8%AF%D9%82-%D8%AC%D9%8A%D8%B4-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7--%D8%AD%D9%8A%D9%86-%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D8%B6%D9%8A%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D8%B5%D9%84%D8%A9

50- مجموعة العمل، بأمر من النظام السوري، نقل وحدات من جيش التحرير الفلسطيني إلى جبهة "الشيخ مسكين" المشتعلة، كانون الثاني/ يناير 2016، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/21). http://www.actionpal.org.uk/ar/post/4066

محافظة درعا. وآنذاك ذاع صيت الكتيبة 12 التابعة لجيش التحرير التي ساهمت في السيطرة على الشيخ مسكين والكتيبة المهجورة في ريف درعا الشماليّ، وبناءً عليه نال العميد الركن في جيش التحرير الفلسطينيّ "وليد مرعي الكردي" وسام الرئيس بوتين تقديرًا لشجاعته في المعارك، كما نال ضبّاطٌ آخرون وسام الشجاعة من اللواء "الخضراء".

وفي أيلول/ سبتمبر 2016، قضى المجنّد "رأفت محمد حميد الشملوني" من مخيّم السيّدة زينب في معارك مدينة إبطع في ريف درعا بين الجيش النظاميّ ومجموعات المعارضة المسلّحة.

وفي حزيران/ يونيو 2018، شارك جيش التحرير الفلسطينيّ في معارك بصر الحرير ومليحة العطش[51].



الجمهورية العربية السورية
القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة
الفرقة الخامسة ميكا – فرع التوجيه السياسي
الرقم/ ١١٤ /
التاريخ ١٢ / ٧ / ٢٠١٨م

ثناء

إن اللواء قائد الفرقة الخامسة ميكا
يثني على
العميد الركن المظلي وليد مرعي الكردي من مرتبات جيش التحرير الفلسطيني
السبب: لدوره الفعال وبطولاته في تحرير بلدات مليحة العطش_علما_الصورة_الغارية الغربية

اللواء عبد المجيد محمد إبراهيم
قائد الفرقة الخامسة ميكا

ثناء موجّه من قائد الفرقة "الخامسة ميكا" في الجيش السوريّ، اللواء عبد المجيد محمد إبراهيم، إلى العميد المظلّيّ، وليد مرعي الكردي، من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ لدوره في معارك مليحة العطش – علما – الصورة – الغارية الغربيّة[52]

وفي أواخر شهر تموز/ يوليو المنصرم زجّت سلطة الأسد وقيادات جيش التحرير، بعناصر جيش التحرير في المعارك الدائرة بين سلطة الأسد وحلفائها من جهةٍ، وجيش خالد بن الوليد

51 - جيش التحرير الفلسطيني إدارة التوجيه المعنوي والسياسي،بمشاركة كتائب من جيش التحرير الفلسطيني , استعادة بصر الحرير ومليحة العطش...، حزيران/ يونيو 2018، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/21).
http://www.palarmy.com/%d8%a8%d9%85%d8%b4%d8%a7%d8%b1%d9%83%d8%a9-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a6%d8%a8-%d9%85%d9%86-%d8%ac%d9%8a%d8%b4-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d8%ad%d8%b1%d9%8a%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d9%81%d9%84%d8%b3%d8%b7%d9%8a%d9%86/

52- جيش التحرير الفلسطيني، إدارة التوجيه المعنوي والسياسي، الأخبار، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/22).
http://www.palarmy.com/%D8%AB%D9%86%D8%A7%D8%A1-%D9%84%D8%AC%D9%8A%D8%B4-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A-%D9%85%D9%86-%D9%82%D8%A7%D8%A6%D8%AF-%D8%A7%D9%84/

المبايع لتنظيم "داعش" من جهةٍ أخرى في منطقة حوض اليرموك في درعا. ففي 21 تموز/ يوليو 2018، قضى المقاتلان الفلسطينيّان "أحمد تيسير إبراهيم" و"شرف مجد عبد الفتاح أبو سويد" من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ، أثناء مشاركتهما القتال إلى جانب قوّات النظام في المعارك الدائرة ضدّ تنظيم "داعش" في حوض اليرموك جنوبيّ سورية.



المجنّدان الفلسطينيّان "أحمد تيسير إبراهيم" و"شرف مجد عبد الفتاح أبو سويد" اللذان قَضيا في حوض اليرموك (جنوبيّ سورية)

وفي 22 تموز/ يوليو، قضى المقاتل "أحمد زهير عبد الله" من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ إثر مشاركته القتال إلى جانب قوّات النظام السوريّ ضدّ تنظيم "داعش" في حوض اليرموك جنوبيّ سورية، وهو من أبناء مخيّم السيّدة زينب في ريف دمشق. وأصيب كلٌّ من: "حسن علي"، و"محمد الناطور"، و"محمد خير خليل".



المجنّد "أحمد زهير عبد الله" قضى في حوض اليرموك (جنوبيّ سورية)

ث- **محافظة حمص:** في آب/ أغسطس 2017 شارك جيش التحرير الفلسطينيّ إلى جانب قوّات سلطة الأسد بالأعمال الحربيّة ضدّ تنظيم "الدولة الإسلاميّة" (داعش) في منطقة "التنف" التابعة إلى محافظة حمص. ففي 26/ 8/ 2017، قضى ستّة مقاتلين فلسطينيّين من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ، وهم: عمر فياض، وإبراهيم قاسم دياب، ومصطفى عمر بشارة، وحمد شهابي، وعلاء شحودي، ومحمد هيثم أحمد عيسى، جرّاء الاشتباكات التي جرت بين جيش التحرير الفلسطينيّ وقوّات الأسد من جهة، وتنظيم "داعش" من جهةٍ أخرى في منطقة "التنف" في البادية السوريّة.

ج- **محافظة حماة:** في تشرين الأوّل/ أكتوبر 2017 شارك "جيش التحرير الفلسطينيّ" في المعارك في ريف حماة الشرقيّ إلى جانب قوّات النظام، وسقط عددٌ من الجرحى في صفوفه أثناء مشاركة فوج الاستطلاع وكتيبة الدبّابات التابعة لـ "لواء القادسيّة" (إحدى تشكيلات جيش التحرير التي استقدمها من السويداء)، إلى جانب ميليشيات الدفاع الوطنيّ التابعة للنظام في المعارك ضدّ تنظيم "داعش"، والتي حقّقوا خلالها سيطرة على "تلال الهوائيّات" في ريف حماة الشرقيّ. ويعدّ "فوج الاستطلاع" مجموعةً أمنيّةً تضمّ عناصر مخابراتٍ غير مدرّبةٍ على المهمّات القتاليّة، تتّخذ من منطقة مصياف في ريف حماة مقرّاتٍ لها[53].

وفي أيلول/ سبتمبر 2017، منحت القوّات الروسيّة في سورية، قائد مجموعة ريف حماة الشماليّ التابعة لفرع الاستطلاع والمهامّ الخاصّة في جيش التحرير الفلسطينيّ النقيب "محمد جودت إدريس" وسام الشجاعة الروسيّ لدوره الكبير في تحرير ناحية العقيربات في ريف حماة.

---

53 - مراسل سوري، للمرة الأولى في ريف حماة.. "جيش التحرير" يشارك النظام معاركه ضد "داعش"، تشرين الأوّل/ أكتوبر 2017، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/21).
https://syrian-reporter.net/%D9%84%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84%D9%89-%D9%81%D9%8A-%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D8%AD%D9%85%D8%A7%D8%A9-%D8%AC%D9%8A%D8%B4-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D9%8A/



صورة تظهر تكريم القوّات الروسيّة لقائد مجموعة ريف حماة الشماليّ، التابعة لفرع الاستطلاع والمهامّ الخاصّة في جيش التحرير الفلسطينيّ، الملازم أوّل محمد جودت إدريس

ح- **محافظة دمشق:** شارك جيش التحرير الفلسطينيّ في معركة جنوبيّ دمشق الأخيرة التي انطلقت في 19 نيسان/ أبريل 2018. وعلى الرغم من أنّ جيش التحرير لم يصرّح رسميًّا بدخوله معركة جنوب دمشق، بحسب متابعاتنا للصفحات الإعلاميّة الناطقة باسمه، إلّا أنّ سقوط قتلى من مرتّباته في تلك المعركة كان مؤشّرًا على مشاركته فيها؛ ففي 21 نيسان/ أبريل 2018 قضى المقاتل الفلسطينيّ "محمد نور عماد سمور" (20 عامًا) من أبناء مخيّم العائدين في حمص، من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ، خلال مشاركته القتال إلى جانب قوّات النظام في سورية في المعارك الجارية في منطقة القدم جنوبيّ دمشق. كما قضى كلٌّ من "قاسم محمد علي"، و"محمد الهندي" من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ. وقد أكّدت قناة "المنار" الناطقة بلسان حزب الله اللبنانيّ قبل بدء المعركة في تقريرٍ نُشر على موقعها في 19 نيسان/ أبريل 2018، أنّ وحداتٍ عسكريّةً من جيش التحرير الفلسطينيّ، وعددًا من الفصائل الفلسطينيّة إضافةً إلى حركة فلسطين حرّة ولواء القدس الفلسطينيّ القادم من حلب، قد توزّعت على محاورَ عديدةٍ تنتظر ساعة الصفر القريبة. وأضاف التقرير: أنّ هذه العمليّة العسكريّة أخذت محاور شارعي فلسطين واليرموك، ومحور القدم والحجر الأسود، إضافةً إلى تحصين محور التضامن. فالدفاع الوطنيّ يتولّى مهمّة التثبيت ومنع وصول إرهابيّي ما تبقّى من تنظيم "داعش" إلى مناطق

المصالحة في محاور يلدا وببيلا وبيت سحم بأطراف المنطقة الجنوبيّة للعاصمة، وبهذا يكون الإعداد للعمليّة العسكريّة قد أصبح متكاملًا وجاهزًا بوجود إسنادٍ ناريٍّ يتولّاه جيش التحرير الفلسطينيّ(54).

خ – محافظة السويداء: في صيف عام 2015 شارك جيش التحرير إلى جانب قوّات النظام في معارك ضدّ فصائل المعارضة المسلّحة في محيط مطار "الثعلة" العسكريّ غربيّ محافظة السويداء عام 2015؛ حيث دخل نحو مئتين وخمسين عنصرًا من مرتّبات "جيش التحرير"، بسيّاراتٍ مدنيّةٍ مدجّجةٍ بسلاحٍ متوسطٍ وخفيف، برفقة ستّة مضادّاتٍ من عياراتٍ مختلفة، إلى مطار الثعلة، عبر طرقٍ زراعيّةٍ تربط ريف السويداء الغربيّ بالمطار(55).

وفي صيف 2017 شارك جيش التحرير الفلسطينيّ إلى جانب الجيش السوريّ في معارك ضدّ تنظيم داعش في بادية السويداء في مناطق (بير القصب، والكراع، والهبارية، وخربة الإنباشة، وغيرها)(56)، ولاسيّما وحدات الهندسة في جيش التحرير الفلسطينيّ المكلّفة بتمشيط وسبر طرق الإمداد، وإيصال الإمدادات إلى المواقع القتاليّة المتقدّمة(57). ولم نرصد أيّ وجودٍ لميليشيات فلسطينيّة أخرى في معارك بادية السويداء غير جيش التحرير الفلسطينيّ. وتستمرّ معارك بادية السويداء إلى تاريخ إعداد هذه الدراسة، بين كرٍّ وفرّ؛ حيث شهدت هذه الفترة انسحاباتٍ من الطرفين متكرّرةً ومتواصلةً من دون معرفة جدواها العسكريّة أو لماذا يتمّ تسليم المواقع هناك بعد السيطرة عليها. ففي شهر تموز/ يوليو 2018، قضى المقاتلان الفلسطينيّان "أحمد محمد إبراهيم"

---

54 - قناة المنار، مخيم اليرموك إلى واجهة التحرير من الإرهاب، 19 نيسان/ أبريل 2018، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/21). http://www.almanar.com.lb/3665748

55 - الاتحاد برس، تعزيزات من جيش التحرير الفلسطيني لمنع سقوط مطار الثعلة، حزيران/ يونيو 2015، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/21).
http://aletihadpress.com/2015/06/12/%D8%AA%D8%B9%D8%B2%D9%8A%D8%B2%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%86-%D8%AC%D9%8A%D8%B4-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A-%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B9/

56 - جيش التحرير الفلسطيني، إدارة التوجيه المعنوي والسياسي، آب/ أغسطس 2017، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/21).
http://www.palarmy.com/%d9%86%d8%ac%d8%a7%d8%ad%d8%a7%d8%aa-%d8%ac%d8%af%d9%8a%d8%af%d8%a9-%d9%84%d9%84%d8%ac%d9%8a%d8%b4-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%b1%d8%a8%d9%8a-%d8%a7%d9%84%d8%b3%d9%88%d8%b1%d9%8a-%d9%88%d8%ac%d9%8a%d8%b4/

57 - جيش التحرير الفلسطيني، إدارة التوجيه المعنوي والسياسي، بادية السويداء أم المعارك... ودور جيش التحرير الفلسطيني في معركة الهندسة. تموز/ يوليو 2018، (آخر زيارة للموقع في تاريخ 2018/9/21).
http://www.palarmy.com/%d8%a8%d8%a7%d8%af%d9%8a%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%b3%d9%88%d9%8a%d8%af%d8%a7%d8%a1-%d8%a3%d9%85-%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b9%d8%a7%d8%b1%d9%83-%d9%88%d8%af%d9%88%d8%b1-%d8%ac%d9%8a%d8%b4-%d8%a7/

و"أنور نايف الخطيب" من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ خلال مشاركتهما القتال ضدّ تنظيم "داعش" في بادية السويداء جنوبيّ سورية.



المجنّدان الفلسطينيّان "أحمد محمد إبراهيم" و"أنور نايف الخطيب" اللذان قَضيا في بادية السويداء (جنوبيّ سورية)

وفي الشهر ذاته، قُتل ضابطٌ وعنصران من جيش التحرير الفلسطينيّ إثر انفجار عبوةٍ ناسفةٍ فجّرها تنظيم داعش عن بعد, في بادية السويداء وهم: العميد "حسين علي محمد" والملازمان شرف "نضال سعيد عودة" و"محمد عبد الله يوسف"، وأُصيب كلٌّ من العميد "شريف كايد" والعميد "بلال قاسم محمد" من مرتّبات جيش التحرير الفلسطينيّ.



العميد شرف "حسين علي محمد" قضى في بادية السويداء (جنوبيّ سورية)



الملازم شرف "نضال سعيد عودة" قضى في بادية السويداء (جنوبيّ سورية)



الملازم شرف "محمد عبد الله يوسف" قضى في بادية السويداء (جنوبيّ سورية)

تاسعًا: خاتمة وتوصيات

قانونيًّا، ومن ثمّ شرعيًّا، نشأ جيش التحرير الفلسطينيّ عن قرارٍ من منظّمة التحرير الفلسطينيّة، وهو ما ثبّتته المنظّمة في ميثاقها، ومحاضر دوراتها المتعاقبة، وقراراتها الماليّة، وهو ما أقرّته الجامعة العربيّة في اجتماعات القمّة العربيّة الثانية والثالثة، بعد أن كلّفت أحمد الشقيري في مؤتمر القمة الأولى بالتشاور مع الشعب الفلسطينيّ والدول العربيّة الأعضاء لتشكيل كيانٍ فلسطينيٍّ.

هذه التبعيّة القانونيّة، وهي شرعيّة الوجود الوحيدة لجيش التحرير، كانت، ولا تزال، تتيح لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة، ولسلطة الحكم الذاتيّ الفلسطينيّة المحدودة التي ورثت مكانتها في الجامعة العربيّة، وفي الأمم المتّحدة، وأيضًا تتيح لجامعة الدول العربيّة، التدخّل لمنع توريط جيش التحرير في الحرب السوريّة، وأن تقاضي من ورّطه وتسبّب في ارتكابه الانتهاكات بحقّ المدنيّين في سورية، سواء أكان هؤلاء من النظام السوريّ أو من قيادات جيش التحرير.

وهو ما يتيح للمتضرّرين رفع القضايا على قيادة جيش التحرير والنظام السوريّ لارتكابهما الانتهاكات، وعلى قيادة منظّمة التحرير، التي هي نفسها قيادة سلطة الحكم الذاتيّ الفلسطينيّ المحدود (السلطة الوطنيّة الفلسطينيّة)، وعلى الجامعة العربيّة، لأنّهما مسؤولتان عن التقاعس في منع هذه الجرائم، إن كان بحقّ الضحايا المدنيّين في سورية، أو الضحايا من المجنّدين إلزاميًّا في جيش التحرير الفلسطينيّ.

وطالما أنّ منظّمة التحرير الفلسطينيّة قد اتّجهت إلى إقامة سلطةٍ فلسطينيّةٍ في بعض الأراضي الفلسطينيّة، وأنّها بصدد مشروع إقامة دولةٍ فلسطينيّة، فإنّ من التناقضات الكثيرة التي يجب حلّها هو وجود جيشٍ فلسطينيٍّ خارج جغرافيا هذا المشروع ينفّذ تعليمات قيادةٍ غير القيادة الرسميّة للشعب الفلسطينيّ، ويرتكب انتهاكاتٍ جسيمةً لحقوق الإنسان بحقّ شعب الدولة المضيفة (سورية) نتيجة ذلك، وبحقّ اللاجئين الفلسطينيّين فيها.

إنهاء التناقض سابق الذكر يتطلّب ضمَّ جيش التحرير الفلسطينيّ إلى نطاق مشروع الدولة الفلسطينيّة جغرافيًّا، كمؤسّسةٍ من مؤسّساتها، وهذا يحتاج قرارًا دوليًّا. وهو ما يتوافق مع حاجة مستقلّةٍ بذاتها، ولها أولويّة عمّا عداها، كونها شرطًا لازمًا لأيّ مستقبلٍ أفضل ترنو إليه شعوب

المنطقة، وهو العدالة لضحايا انتهاكات النظام السوريّ، وأدواته التي منها جيش التحرير الفلسطينيّ. حيث إنّ المسؤوليّة القانونيّة للقيادة الرسميّة الفلسطينيّة التي برهنّا عليها أعلاه (بشقّيها التأسيسيّ والإداريّ/ الماليّ)، تتيح التوجّه إلى القضاء صاحب الاختصاص لمقاضاتهم، وهو ما سيضغط على جميع الأطراف للتعامل مع هذا الجيش كمؤسّسةٍ من المؤسّسات الفلسطينيّة التي يجب ضمّها للدولة الفلسطينيّة المقصودة بالقرارات الدوليّة ذات الصلة.

هكذا يظهر مرّةً أخرى أنّ العدالة للضحايا، للإنسان، هي الطريق العمليّ من أجل علاقاتٍ دوليّةٍ أكثر صوابًا على المستويين القانونيّ والعمليّ.

دراسة

جيش التحرير الفلسطينيّ
في الحرب السوريّة

يوسف فخر الدين – همام الخطيب

مراجعة قانونية
أنور البني

المركز السوري للأبحاث والدراسات القانونية www.sl-center.org

مركز دراسات الجمهوريّة الديمقراطيّة www.drsc-sy.org

02-11-2018